النشاطات الطبية والخدمات الصحية

في العراق ١٢٥٨ ـ ١٩٢١

الدكتور ابراهيم خليل أحمد
كلية التربية/جامعة الموصل

١ ـ مقدمة :

تردت اوضاع العراق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية بعد سقوط بغداد على يد المغول سنة ١٢٥٨ وكان للاحداث السياسية والعسكرية التي تعرض لها العراق منذ ١٢٥٨ وحتى ١٩٢١ انعكاسات سلبيةعلى مستوى سكانه . ومع انه حظي خلال هذه الفترة الطويلة ببعض محاولات الاصلاح ، الا ان هناك عوامل حالت دون ذلك ، لعل من ابرزها ابتعاد سكانه عن حكم انفسهم ووقوع امكانات البلد بيد العناصر الاجنبية المتسلطة. كما ادت الظروف المناخية السيئة وانتشارالامراض والاوبئة وتعرض البلاد لمحاولات القحط والمجاعة الى تدهور الاوضاع الصحيه والمعاشية للانسانالعراقي.

ان دراستنا هذه معالجة تاريخية لجانب مهم منجوانب الحياة فيالعراق والذييتمثل بالاوضاع الصحية والنشاطات الطبية منذ ١٢٥٨ وحتىتسلم العراقيين لادارة بلادهم

وتأسيس وزارة الصحة في ١٢ أيلول ١٩٢١. كما تهتم الدراسة بمتابعة انعكاس الاوضاع الصحية والنشاطات الطبية تلك على السكان ورصد البدايات الاولى لتأسيس الكيان الصحي الحديث في العراق.

٢ ـ الاوضاع الصحية والنشاطات الطبية في العراق ١٢٥٨ ـ ١٥٣٤

(آ) الاوضاع الصحية :

تعرض العراق خلال الفترة الواقعة بين الغزو المغولي لبغداد سنة ١٢٥٨ والسيطرة العثمانية سنة ١٥٣٤ لهجمات شديدة من الامراض الوبائية والمتوطنة. وظلت الملاريا والتيفوئيد تفتك بالسكان . ومما ساعد على ذلك حالات القحط والضيق الاقتصادي نتيجة لقلة الامطار أوتعدد الفيضانات وهجمات الجراد وامراض الحيوانات والآفات الزراعية فتقل المواد الغذائية الضرورية للجسم الانساني نباتية كانت أم حيوانية وتنتشر المجاعات وتضعف مقاومة الاجسام للامراض فتنتشر بينهم وتفتك بهم . هذا فضلاً عن ان العراق لم يعد بلاداً غنية مثل ماكان إبان ازدهار الدولة العربية الاسلامية في العصر العباسي بل صار يعتمد على مصادره الخاصة بعد ان انقطعت عنه الموارد التي كانت تصله قبل تعرضه للغزو، وقد ساعدت كثرة الاهوار والمستنقعات والبرك الآسنة في انتشار الامراض والاوبئة . ولم يكن ثمة مايدل على توفر نظام لتصريف المياه في المدن وكانت كثرة المقابر داخلها والدفن في الدور الخاصة والربط والمساجد وماشاكل ذلك من اساليب غير صحية تساعد على نشر الامراض خاصة ايام الوباء (١) .

ولم يكن مستوى الطب متقدماً من حيث المقدرة على تشخيص الامراض وعلاجها: وكان عدد المستشفيات (البيمارستانات) قليلاً جداً والعناية بها محدودة؛ ولم تكن تلك المؤسسات قادرة على تأدية الخدمات الصحية بالشكل المعروف الان، وذلك بسبب انخفاض مستوى الطب الانساني آنذاك. وقد اهملت السلطات الحكومية آنذاك ردم البرك والمستنقعات التي غدت بيئة خصبة لنمو الكثير من الجراثيم والديدان . كما لم تبذل اية محاولات لتحسين التغذية العامة وحصر الاوبئة ومنع الناس من مغادرة مناطق الوباء (٢) .

ان اية محاولة لتحديد الامراض الشائعة في تلك الفترة متوطنة كانت أم وافدة تقف أمامها مصاعب جمة منها قلة المعلومات التي وصلتنا عن هذه الامراض وعدم دقة بعضها. فلقد وردت أوصاف غير دقيقة عن اسماء الامراض وطبائعها ومدى فتكها بالسكان(٣).

كما ان بعض الاخبار القلية التي وردت عن الامراض جاء في اطار مسميات عامة غامضة مثل الوباء، والوباء في دلالته يمثل انتشار اي مرض معد بشكل واسع مهلك كالملاريا اوالتيفوئيد أو الطاعون .ويبدو ان اخبار الامراض التي وصلت كانت قليلة مختصرة ولابد ان تكون في حقيقتها اوسع واكثر انتشاراً لان ظروف العراق الاقتصادية والاجتماعية والصحية السيئة كانت تساعد على انتشارها (٤).

(ب) النشاطات الطبية :

لم تكن المؤلفات الطبية التي تعود الى هذه الفترة تمثل حقيقة ماكان يمارسه الاطباء والمتطببون، حيث لم يكن هناك نظام دائم تفرضه السلطات المسؤولة وتجيز من يريد احتراف الطب على ضرورة تلقي دروس معينة على ايدي اطباء معروفين بالكفاءة في حقول تخصصهم (٥). لذلك ظلت بغداد وغيرها من المدن العراقية لسنوات طويلة ميدانا فسيحاً لعبث المشعوذين ومرتعاً خصبا للمحتالين من المتطببين (٦). والى شيء من هذا القبيل يشير الاستاذ عبد الحميد العلوجي حيث يقول: «وبعد نكبة بغداد تدهور الواقع الطبي في العراق واصبحت الطبابة صناعة خسيسة تنهض على الشعوذة والدجل وسيطرت على العقول خرافات واوهام ...ولم يسجل التاريخ لبغداد فضلاً طبياً في تلك الفترة المظلمة» فكانت بعض النساء يلعبن دور الاطباء ،فيصفن العقاقير والسموم ويداوين العيون ويفتكن بالصحة. وكان بعض الدجالين يستخدمون الادعية والطلاسم في مكافحة المرض وظلت كلمة حكيم أي: طبيب هي الشائعة: ومن الحكماء الذين عرفهم العراق آنذاك: العطارون، والحلاقون والختانون (٧). كما ورث بعض اهل البادية طباً يبنونه في غالب الامر على تجربة قاصرة على بعض الاشخاص متوارثاً على المشايخ والعجائز . فكانت امراض الروماتيزم والكبد والصداع النصفي وعرق النساء تعالج باعشابهم ومستحضراتهم الخاصة(٨)وكان الطب يقوم في أكثره على الادوية النباتية التي يمكن وصفها بالمسكنات. ولم يلجأ أطباء ذلك الزمان الى الادوية المركبة المعقدة التي يسمونها (الترياق) إلا في الاحوال المستعصية . وكانت اكثر اساليب المعالجة شيوعاً هي الفصد، والحجامة والاسهال (٩) .

ومهما يكن من امر فقد وردتنا من العهدين الايلخاني (١٢٥٨ – ١٣٤٠) والجلائري (١٣٤٠ – ١٤١١)اسماء بعض الاطباء البارزين، منهم شمس الدين الصباغ (توفي١٢٨٥) طبيب المستنصرية وكان من العلماء الماهرين بصناعة الطب (١٠) وابو منصور المعروف بكتيفات (توفي ١٢٩٣) (١١). وشمس الدين محمد بن دانيال الموصلي (توفي ١٣١٠)وكان

كحالاً أي طبيباً للعيون (١٢). ومحمد الدين سنجر البغدادي الذي ولي المستنصرية (توفي ١٣١٥) وكان ماهراً في صناعة الطب وقيل انه عمل ممتحنا لاطباء العراق (فمن ارتضاه أقره على عمله ،ومن لم يرضه يستبدله بغيره، ممن يعرف العلاج وحفظ الصحة» (١٣). ومنهم الحسن بن محمد شرف شاه الحسيني الموصلي وله شرح الحاوي وتوفي سنة ١٣١٥(١٤) ومنهم يوسف بن محمد بن موسى بن منعة كمال الدين ابو المعالي بن بهاء الدين بن كمال الدين بن رضي الدين بن قاضي الموصل (توفي ١٣١٧) وله شرح الحاوي كذلك (١٥).

كما عرف عن عماد الدين عبد الله بن محمد بن عبد الرزاق الحموي العراقي المعروف بـ (ابن الخوان) اهتمامه بالطب، حتى انه صنف فيه وقرأ عليه جماعة،تولى رياسة الطب ببغداد . ولد سنة ١٢٤٥ وتوفى سنة ١٣٢٤ (١٦) . وكان الحكيم العلامة علاء الدين علي بن قبان بن مختار البغدادي المعروف بـ(الخطائي) طبيباً (١٧) وفي سنة ١٣٣٨ توفي عبد المؤمن بن عبد الحق بن عبد الله بن مسعود بن شمائل البغدادي الحنبلي المعروف بابن عبد الحق وبابن شمائل وكان عالماً ، مشاركاً في الطب والحساب والفقه . ولد ببغداد سنة ١٢٦٠ ودرس بالمدرسة المجاهدية ببغداد (١٨) . وفي سنة ١٣٣٩ توفي ركن الدين شافع بن عمر بن اسماعيل الحنبلي الاصولي وكان عارفا بالطب (١٩) .

اما ابو عبدالله محمد بن ابراهيم بن مساعد الانصاري المعروف بابن الاكفاني (المتوفي سنة ١٣٤٨) فيعد من اكثر الاطباء العراقيين شهرة في النصف الثاني من القرن الرابع عشر(٢٠) وقد ولد ابن الاكفاني وترعرع في سنجار ، وسعى منذ فترة مبكرة من حياته لطلب العلم (٢١) . وكان ذا ثقافة غير أن ميله الى العلوم الصرفة وتضلعه فيها كان اشهر من اهتمامه بالعلوم النقلية (٢٢) . اما مشاركته في الطب فقد عرف عنه «انه كان امام عصره وغالب طبه بخواص ومفردات يأتي بها الى المريض وما يعرفها أحد لانه يغير كيفيتها وصورتها حتى لاتعلم وله اصابات غريبة في علاجه» (٢٣) .

لقد صنف ابن الاكفاني عددا من الكتب في الطب منها كتبه «روضة الالبا في اختصار الاطباء» و «كشف الرين في امراض العين» و «نهاية القصد في صناعة الفصد» (٢٤) . اما كتابه ((غنية اللبيب عند غيبة الطبيب)) (٢٥) فيعد من اكثرها شهرة ذلك انه . كما يقول ابن الاكفاني في المقدمة ((رسالة لطيفة الحجم غزيرة العلم تشتمل على مالا بد منه من علم الطب في حفظ الصحة والتحرز من الامراض ومعالجتها على العموم)) ورتبه

الرسالة لتشمل قواعد حفظ الصحة وتدبير المرض حيث لايوجد طبيب او يوجد من لايوثق به . كما احتوت على وصايا نافعة وخواص مختبرية اكثرها طبية . وتناول المؤلف مااشتملت عليه اقسام الكتاب من فصول وكيفية تدبيرها ومعالجة ماورد فيها من امور بما يضمن سلامة المريض وتجنب الاضرار به . وقد عالج المؤلف في كتابه امراض البدن من الرأس الى القدم ، مع التأكيد على حفظ الصحة والوقاية من الامراض (٢٦) . ويبدو ان المؤلف كان ميالاً الى استعمال الادوية المفردة البسيطة دون المركبة كما يذكر من بدائل العلاج لمرض ماذا لم يتمكن المريض من الحصول على الدواء المطلوب (٢٧) .

اما يوسف بن اسماعيل بن الياس بن احمد البغدادي الجويني الشفعي المعروف بابن الكتبي والمتوفى سنة ١٣٥٤ فقد كان طبيباً معروفاً . ولد في المدينة المنورة ثم انتقل الى بغداد حيث نشأ وعاش بها واختير معيداً في المستنصرية وله من المؤلفات كتاب ((مالايسع الطبيب جهله)) والمؤلف سنة ١٣١١ وهو كتاب في الادوية والاغذية والمركبات الطبية وما يتعلق بها((جعله في مجلدين : المجلد الاول تناول فيه مفردات الادوية والاغذية . اما المجلد الثاني فتناول فيه المركبات وجعل لكل مجلد مقدمة تتعلق بقوانين واحكام يجب معرفتها قبل الخوض فيها (٢٨) .

كما شارك القاضي تقي الدين يحيى البغدادي المتوفي سنة ١٤٢٩ في عدة علوم ، وله مصنف في الطب (٢٩) واشتهر الطبيب عبد المسيح المتوفى سنة ١٤٣٢ وكان طبيباً للشاه محمد القره قوينلي الذي حكم بغداد منذ ١٤١١ بعد ان هزم السلطان احمد الجلائري(١٣٨٢-١٤١٠) .

وخلال تعرض العراق للغزو التيموري (١٣٩٢ - ١٤٠٠) جرت محاولة واسعة لتهجير العلماء والاطباء والفنانين العراقيين الى سمرقند . وكان هدف تيمور من ذلك جعل سمرقند مركزاً للنشاط السياسي والثقافي . ويذكر بعض المؤرخين انه جمع ألوفاً من العلماء والاطباء والمهندسين في سمرقند . وكان عدد منهم من الاطباء العراقيين امثال : الضياء الطبيب الهروي ومجد الدين محمد المشيرقي وموفق الدين الهمداني الطبيب ومجد الدين التبريزي (٣١) .

ومهما يكن من امر فان مستوى الطب في العهدين الايلخاني والجلائري كان بدائياً بمقياسنا الحالي من حيث المقدرة على تشخيص الامراض وعلاجها . ولعل خير مايمثل هذا المستوى مانقله الدكتور جعفر خصباك عن ابن الغوطي في سيرة احد معاصريه وهو مجد الدين ابو عبد الله نوفل بن محمد بن وهجان البصري الطبيب حيث قال عنه :

((كان طبيباً حاذقاً ؛ له معرفة بالمزاج والعلاج. قرأت بخطه في رسالة كتبها لبعض تلاميذه ؛ قال جالينوس مادخل الرمان جوفاً قط فاسداً الا اصلحه ... وقال بقراط : الجسد كله يعالج جملة على خمسة اضرب مافي الرأس بالغرغرة وما في المعدة بالقيء وما في اسفل المعدة باسهال البطن . وما بين الجلدين بالعرق . وما في داخل العرق باخراج الدم ...)) (٣٢) .

(ج) المؤسسات الصحية :

اما المؤسسات الصحية التي وردت اخبارها في هذه الفترة فقليلة ومعظمها ترجع بجذورها الى العصور الوسطى الاسلامية ، وهي تقليدية في طبيعة الخدمات التي تقدمها . وكانت تختلف من حيث سعتها وعدد اطبائها ودرجة العناية بمرضاها . وتعيش على الاوقاف والهبات (٣٣) . اما ابرزها فهي المارستان العضدي الذي يعود تأسيسه الى سنة ٩٨٢م وكان يقع في الجانب الغربي من بغداد على نهر دجلة . وقد وردت اشارات تأريخية تقول بأن هذا المارستان ظل يعمل حتى العهد الايلخاني ، حين عولج به احد الاشخاص سنة ١٢٨٠ ولكن سرعان مااخذ الاهمال يستولي على هذا المارستان (٣٤) .

وثمة مارستانات اخرى ظلت تواصل عملها خلال هذه الفترة منها المارستان الذي كان بباب الازج في الجانب الشرقي من بغداد ومارستان في البصرة ومارستانان في الموصل (٣٥). وفي العهد الايلخاني انشأ احد حكام بغداد وهو مجد الدين اسماعيل ابن الياس الكتبي المتوفى سنة ١٢٨٩ مارستانا على شاطيء الفرات في الحلة (٣٦) خانه .

وبنى امين الدين مرجان حاكم بغداد في عهد السلطان اويس الجلائري (١٣٥٦ – ١٣٧٥ مارستانا بأسم ((دار الشفاء)) . وقد نص على ذلك في وقفيته المنقوزة فوق باب خانه الشمالي (الاورشمة) بباب الغربة الواقع على شاطيء نهر دجلة في بغداد (٣٧) .

٣ – النشاطات الطبية والخدمات الصحية في العهد العثماني ١٥٣٤– ١٩١٤

(آ) الاوضاع الصحية

ظل العراق خلال العهد العثماني يعاني من الفقر والجهل والمرض وكانت الحالة الصحية للناس في غاية التدهور والانحطاط . وقد لعبت البيئة دورا كبيراً في التأثير على المستوى الصحي ، فكثرة البرك والمستنقعات والفيضانات أدت إلى انتشار الامراض المختلفة. ولم تبذل

للسلطات العثمانية جهودا كبيرة في مجال تقديم الخدمات الصحية للسكان . اما المدن فقد بقيت منذ تشييدها إلى اواخر القرن التاسع عشر بقلاعها واسوارها ، وبأزقتها الضيقة وطرقها الملتوية خالية من الميادين والفسحات الكبيرة . وكانت المدن مقسمة إلى محلات تتوفر فيها المؤسسات العامة كالمساجد والكنائس والحمامات والمقاهي واسواق الاطعمة، علاوة على الاسواق الكبيرة للمدينة كسوق الحنطة وسوق اللحم وغيرهما ، وكانت طرقات المدينة تعج بالحيوانات من خيل وبغال وجمال وابقار وحمير ، تأوى إلى اصطبلات شيدت لها بجوار دور سكنى اصحابها او داخلها او إلى الخانات العامة المشيدة قرب الاسواق لايواء الحيوانات القادمة من القرى والمحملة بصنوف الغلال والمنتوجات الزراعية لبيعها في المدينة ، وكانت الطوابق العليا من هذه الخانات مقسمة إلى حجرات يأوى اليها المسافرون . لذلك كانت النظافة معدومة في شوارع المدن وازقتها غير المبلطة والمملوءة بالحفر ، اذ لايخفى ماتسببه نفايات هذا العدد الكبير من الحيوانات من اوساخ في الشوارع ، وكانت هذه الاوساخ تجمع من قبل بعض الاهالي للاستفادة منها كوقود : في حين تكدس في اكوام اوتلال صغيرة بجوار كل محلة ، وتكون مرتعا لتكاثر الذباب وغيره من الحشرات الضارة ، تلعب فيها الرياح وتنقلها مع ما تحمله من جراثيم لتسبب امراضاً عديدة (٣٨) . وقلما وجدنا من الولاة من يهتم بنظافة المدن والاطعمة والماكولات ومبادرة والي بغداد احمد توفيق باشا سنة ١٨٦٠ تعد فريدة من نوعها : عندما أمر القصابين واصحاب المأكولات بوضع ستر من الخام على موادهم للمحافظة عليها من الغبار والذباب (٣٩) .

لقد تعرض العراق خلال العهد العثماني إلى كثير من الكوارث الطبيعية كالفيضان والمجاعة . كما توافدت عليه امراض متعددة كالطاعون والكوليرا والتيفوئيد والملاريا. ففي سنة ١٢٨٩ حدثت مجاعة شديدة في بغداد . اذ ملئت الازقة بالجثث وتبع المجاعة الطاعون الذي قضى على الاف كثيرة . وفي سنة ١٦٩٠ تفشى الطاعون في البصرة وكان الناس يموتون بمقدار خمسمائة في اليوم . وكانت سنة ١٧١٩ مفجعة بتفشي الطاعون الذي فتك بالناس فتكا ذريعاً . وفي سنة ١٧٤٧ افزع الاهالي الطاعون من جديد وصار العراق يئن تحت وطأة الطاعون خلال السنوات ١٧٧٣ و١٧٧٤ و١٧٧٦ و١٧٨٠ و١٧٩٠ و١٨٠١ وحدثت مجاعة مهلكة في الموصل سنة ١٨٢٧ نجم عنها انتشار الطاعون (٤٠) وتفشى الطاعون في بغداد وكركوك والسليمانية سنة ١٨٣٠. وشهدت السنوات ١٨٣٤ و١٨٦٥ و١٨٧٣ و١٨٧٤ و١٨٧٥ و١٨٧٦ و١٨٧٧ و١٨٨١ و١٨٨٢ و١٩٠١ و١٩٠٢

انتشار مرض الطاعون واتخاذه في بعض السنوات شكلا وبائياً : وتفشى في السنوات ١٨٦٥ و١٨٧١ و١٨٨١ و١٨٨٩ و١٨٩٣ و١٨٩٤ و١٨٩٩ و١٩٠٤ مرض الكوليرا. وقد راح ضحية المرض عدد كبير من السكان في مناطق مختلفة من العراق (٤١) وخلال الحرب العالمية الأولى ، حدثت في الموصل مجاعة مروعة بدأت في خريف سنة ١٩١٧ ثم تفاقمت في الشتاء . ولقد ادت المجاعة وتفسخ الجثث إلى تفشي الاوبئة كالتيفوس والكوليرا والانفلونزا . وقد حصدت هذه الامراض اعداد كبيرة من الفقراء والمهاجرين خاصة وان العناية الصحية قد اصبحت معدومة الوجود . واستمرت المجاعة حتى صيف ١٩١٨ وقضى فيها قرابة عشرة الاف نسمة (٤٢) . اما في البصرة فقد انتشرت الكوليرا والطاعون خلال شتاء ١٩١٦ وربيع ١٩١٧ . وتفشى مرض الجدري وظهرت اصابات بمرض التهاب السحايا في السنة الاخيرة وعادت الكوليرا في الشهور الاخيرة منه وفي آيار ١٩١٨ وانتشر الطاعون بين شهري آيار وحزيران ١٩١٩ (٤٣).

(ب) النشاطات الطبية :

لقد سار الطب في العهد العثماني متخاذلا خاصة بعد ان عول على الكتب التي انتقها بعض المتأخرين ممن لم يكونوا اطباء . وطبيعي جدا ان تجيء بعض هذه الكتب حافلة بالتعاويذ والخزعبلات راسخة على افسد المباديء الفسيولوجية او البيولوجية (٤٤) . وتشير بعض المصادر إلى ان الطب في هذه الفترة اقتصر على وجود متطببين لاتتجاوز مدى معارفهم بعض الحقائق الأساسية التي كانوا يتلقونها شفاهاً وكان اكثرها تقليدياً وتوسع بعض منهم في معلوماته فقرأ الكتب القديمة . ولم يكن في ذلك العهد وخاصة في بواكيره من يستحق ان يطلق عليه لقب طبيب حتى في المدن الكبرى ، اما في القرى والارياف فكان يتعاطى المهنة اشخاص توارثوها عن الاباء والاجداد يعتمدون فيها على بعض التجارب والادوية . وكان من بينهم نسوة يصفن العقاقير ويداوين العيون اشتهرت من بينهن في بغداد فرحة خاتون ، فأستشفى على يديها عدد كبير من الناس . وكان يوجد خلاف اولئك ممارسون جوالون كان لبعضهم خبرة في خلع الاسنان واجراء عملية الحصوة والساد (كارتاراكت). وكان يعول في الجراحة على الحلاقين الذين كانوا يتعاطون كذلك الحجامة والفصد . وكان للطب البدوي الذي يعتمد الكي والادوية النباتية شأن عظيم . وكانت هنالك وصفات يعتمدها الناس في المدن والقرى . منها معالجة لدغ الثعبان والعقرب بتدمية مكان العضة ومصه مع الربط فوق مكان اللدغ ثم الكي

بالنار على محل اللدغ ومعالجة البرداء الحاد بغلي اوراق الصفصاف ومعالجة النزلة الصدرية بالحجامة من الصهر وبمغلي الزهور مع ماء الشعير ومنها معالجة الهيضة بالهقط وهو اللبن المجفف والرمان الحامض المشوي بقشره كما يسقى المصاب خليط الثوم بالماء ويوقف الأسهال بدبس الرمان والسماق والشاي الكثيف ومنها علاج الرمد بقطرة من تفاح ومعالجة الزهري بتبخير المريض بالزئبق مع بعض عقاقير منها جوز السرو (٤٥).

الا أن تلك الفترة لم تخل من محاولات علمية حديثة جديرة بالتخليد . اذ ظهرت بعض البحوث والمؤلفات في مجال الطب والتي اعتمدت بعض مؤلفات الاغريق المعربة وكتب ابن سينا وابن داؤد وغيرهما من الاطباء واطباء العيون (الكحالين) العرب المعروفين كما برز عدد من الاطباء الذين تأثروا بما وصلهم من مؤلفات طبية اوربية (٤٦) .

وفي الحقيقة ظل الطب متخلفا غير قادر على كشف اسباب الأمراض وطبيعتها الا بعد التوصل إلى صنع المجهر وكشف الميكروبات والاشعة والاهتداء إلى العلاج باللقاح المضاد للجدري والطاعون والكوليرا وغيرها بالمركبات المضادة ، ولم يتحقق ذلك الا بصورة بطيئة وصعبة ابتداء من القرنين السادس عشر والسابع عشر . وكان اول اتصال بالتقدم العلمي الطبي في اوربا قد جرى عن طريق مؤلفات ابن سلوم صالح افندي بن نصر الله الحلبي رئيس الاطباء في الدولة العثمانية (ت ١٦٧٠) وقد ادرك هذا بدايات حركة التقدم الطبية عند الأروبيين واقتبس من مؤلفاتهم . ومما هو جدير بالذكر ان مؤلفات هذا الطبيب قد توفرت انذاك في معظم خزائن الكتب العراقية . ومن تلك المؤلفات : « برء الساعة » و «غاية الاتقان في تدبير بدن الانسان » وقد توفي الحلبي قبل ان يتم تأليف هذا الكتاب فأتمه وهذبه نجله يحيى افندي . وقد ترجم الكتاب إلى اللغة التركية بعنوان « نزهة الابدان » (٤٧) . وهذا الكتاب « في علم الأمراض وقوانين تركيب الأدوية والطب الكيماوي). ويقع في اربعة اقسام تتناول الامراض وقوانين تركيب الأدوية وبيان الحاجة إلى التركيب وكيفية استعماله والاقرباذينات الجامعة في المركبات والطب الجديد الكيماوي (٤٨) .

بيد ان موارد علمية محدودة كهذه لم تكن غذاءا كافياً لحركة ثقافية نامية كالتي شهدتها الموصل ابان عهد الجليليين (٤٩) . حيث برز عدد من الأطباء منهم الحاج محمد العبدلي (ت ١٧٥٠) . ويتحدث المؤرخ محمد أمين العمري (ت ١٧٨٨) عن مصادر ثقافة العبدلي الطبية بقوله : ان الحاج محمد العبدلي « قرأ الطب والتشريح على المهرة والحذاق ، ففاق جميع اقرانه ... وغلب عليه دون غيره من العلوم » . وقد عرف

عن العبدلي رحلاته واسفاره العديدة واطلاعه الواسع على كتب الطب والتشريح ؛ فارتفعت مكانته الاجتماعية وذاعت شهرته حتى غدا رئيساً لاطباء الموصل طيلة النصف الأول من القرن الثامن عشر . يقول امين العمري عنه « وعامة اطباء بلدنا ونواحيها اخذوا عنه الطب بواسطة وبدونها » (٥٠) .

وقد برز العبدلي مشرفاً على طباء الموصل وجراحيها في معالجة الالاف من الجرحى الوافدين الى الموصل اثر انحسار المعركة التي دارت بين القوات العراقية وقوات الغزو الايراني بقيادة نادر شاه بالقرب من نهر العظيم في اوائل حزيران ١٧٣٣ وان من نتيجتها هزيمة نادر شاه وتشتت جيشه وزوال الحصار عن بغداد (٥١) . كما قصده عدد كبير من المرضى من كل ناحية من نواحي العراق وكثيراً ما كان يستدعى الى بغداد لمعالجة الوالي او غيره من المسؤولين وقد يصيب المريض على يده شفاء فتخلع عليه خلع القبول والرضى (٥٢) .

لقد تتلمذ على الحاج محمد العبدلي تلاميذ عديدون منهم نعمان بن عثمان الدفتري الموصلي صاحب كتاب «الرياض النعمانية في فوائد الطب في الحكمة الطبيعية» وجاء في اول المخطوطة هذان البيتان لاحدهم مادحاً المؤلف :

سرح الطرف في كتاب طبيب حاذق في طبائع الانسان
حين ترعى تلك الرياض بفهم تدركن ان لا شقيق للنعمان

وقد كتبت اول نسخة للمخطوطة خلال سنتي ١٧٥١ ـ ١٧٥٢ ومما جاء في المقدمة «الحمد لله منشىء التركيب الانساني من عنصر التراب ومرتب الهيكل الحيواني من عروق واعصاب ...» (٥٣) ومن تلاميذ العبدلي كذلك محمد امين بن اسماعيل حفيد ياسين المفتي صاحب اليد الطولى في الطب وتركيب الادوية (كان حياً سنة ١٧٩٣) ؛ ومن اثاره كتاب «الشفاء العاجل والدواء الكافل» الذي كتبه سنة ١٧٩٣ . وعليه تتلمذ كذلك امين العمرى في علمي الطب والتشريح وبرع ابنه عبد الله بن امين بك في العلم ذاته ، وعرف بتركيب الادوية والحبوب والترياقات والمعاجين (٥٤) .

لقد كان من نتائج السمعة العلمية التي حصل عليها الحاج محمد العبدلي ان تحفز عدد من الشباب الموصلي للتخصص بدراسة الطب والبروز فية خلال الفترات اللاحقة . وهكذا اصبحت الموصل تقدم الخدمات الطبية ليس الى سكانها فحسب بل ولسكان المناطق المجاورة الذين توافدوا عليها للاستفادة من خبرة اطبائها المشهورين في تلك المرحلة التي سبقت ظهور المؤسسات الصحية الحديثة في النصف الثاني من القرن التاسع عشر (٥٥) .

لقد كان الطبيب الموصلي محمد الجلبي (١٧٧٦ – ١٨٤٦) من ابرز الاطباء واكثرهم شهرة وتأثيراً في مجال تطوير العلوم الطبية في العراق خلال هذه الفترة (٥٦) . ولد محمد الجلبي في الموصل سنة ١٧٧٦ من اسرة اشتهرت بأهتمامها بالطب وعلومه (٥٧) . وقد تلقى دراساته الدينية الاولى في الموصل على يد كبارالعلماء المعروفين في عهده بحيث اتقنها والف فيها . وفي عهده شاعت الرغبة في دراسة الطب خاصة لدى الاوساط الثرية في المجتمع الموصلي. لذلك اتجه الجلبي الى دراسة الطب ولجأ الى الترجمة عن المؤلفات الاوربية مباشرة وكان يتقن اللغات التركية والسريانية واللاتينية وهكذا ترجم كتباً قيمة في اللاتينية الى العربية منها الطب الجديد الكيماوي للعالم الالماني براكليسوس المتوفى (١٥٤١) وصناعة الطب الكيمائي لفروليوس ؛ وقد استفاد من تلك الكتب في اثراء معلوماته المستمدة من تجاربه الشخصية العملية وكتب الطب الكلاسيكية التي انتجها العقل العربي آبان عصور الازدهار ، وتدل مؤلفاته الطبية على مدى اطلاعه وعمق ثقافته العلمية (٥٨) . اما ابرزمؤلفاته المخطوطة فهي: شرح ارجوزة ابن سينا . في الطب ويقع الشرح في (٢١٢) ورقة والطب المختار ويقول في مقدمته «اني بعدما شرحت ارجوزة الشيخ ابي علي (ابن سينا) لاح لي ان اجمع كتاباً أخر في جزئيات الطب مقتصرا في الالفاظ عنياً في المعاني وان لايشذ منه مرض ولاسبب ؛ واذكر من العلاقات مايبين المرض او السبب باوجز علاقة . وان ماورد فيه من المعالجات ما جربته فكان غاية فبادرت بتصنيفه ...» (٥٩) . وزاد في اهمية كتابه هذا انه شرح فيه كيفية اخذ لقاح الجدري واستعماله واعراضه في الموصل بعد ان كان (جنو) قد اذاع اكتشافه لهذا اللقاح سنة ١٧٩٨ ففي الورقة (١٤٣) يذكر لقاح الجدري قائلاً:

«استخرج اطباء الافرنج المعاصرون تجديرا سالماً بالتلقيح من جدرى البقر ؛ اذ لايخرج فيه غير موضع التلقيح ؛ يخرج سابع يوم التلقيح ، او مايقاربه مع حمى قليلة تنصرف بيومها او يزيد ولم يرالمجربون احدا مات في هذا او تجدر ثانية الا اذا كانت الايام وبائية والجدرى قاتلاً ...» (٦٠)

ولم يلبث الطبيب محمد الجلبي ان اعقب كتابه الثاني بكتاب طبي ثالث سماه «مفردات الطب المختار» ويقع في مقدمة وثمانية وعشرين باباً بعدد حروف الهجاء . ويتميز هذا الكتاب بكثرة مصادره وبتنوعها . اما عدد صفحاته فقد بلغت (٤٧٠) ورقة . ومما قاله في المقدمة «... لاح لي ان اجمع كتاباً ثالثاً في المفردات على النمط المذكور من الايجاز مع الغنى جامعاً لما تشتت من الكتب الكثيرة ، مفيداً بأسهل العبارات ... ثم اتلوه

بكتاب رابع في المركبات» وذكر في المقدمة كذلك عشرة قوانين للمفردات . الاول ذكر اسمائه بالالسن (اللغات) المختلفة ليعلم . والثاني ذكر ماهيته في لون وريح وطعم وتكرح وخشونة وملامسة الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة . والخامس ذكر منافعه في جميع البدن ، او في مرض مخصوص . السادس كيفية التصرف في الدواء كالغسل والسحق والطبخ والحل والنقع والحرق والتصعيد والتقطير ... الخ» والسابع ذكر مضاره والثامن ذكر مايصلحه والعاشر ذكر مايقوم مقامه . وقد زاد بعضهم ذكر الزمان الذي يؤخذ فيه الدواء والبعد الذي يؤخذ منه ، وكيفيه ادخاره» (٦١) ..

ويعدد الطبيب محمد الجلبي مصادر كتابه فيقول : «وقد وقع جمع كتابي هذا من الكتب المشهورة والمقبولة ، مثل (المجلد) الثاني من القانون لابي علي (ابن سينا) ومالا يسع الطبيب جهله» وهو المعروف بجامع البغدادي والتذكرة لداؤد الانطاكي : وبحر الجواهر لمحمد بن يوسف الطبيب الهروي . وكتاب مفردات ترجمة بطرس اندراوس اللبناني من اللغة (الفرنسية) الى العربية وبعضاً من (التحفة) وبعضاً من (المنهاج) وبعضاً من (الغاية والبيان) لصالح افندى وبعضاً من (مفردات الموجز) لنفيس وبعضاً من (مفردات) مقدسي يوسف . واستعنت على بعضها باللغة القاموسية .وبعضها بكتاب اللغة السريانية وهو المعروف بكتاب «تعريف» البهلولي لابن بهلول ... ثم اني نقلت منه الكتاب المعروف بالطب الجديد وهو الطب الكيماوي ، مفردات عملية وهي متداولة الان» (٦٢) .
ثم الف محمد الجلبي كتاب «رسالة في النبض» في (٢٤)ورقة وفيه فصل في النبض مقتبس من «نور البيان» واخر في «كامل الصناعة» كما له كتاب «العطايا في شرخ الوقاية» . واستنسخ بعضاً من الكتب الطبية المهمة وكلف طلابه باستنساخ بعض المصادر منها كتاب «نهاية القصد في صناعة الفصد» (٦٣) .

لقد ظهرت في هذه الفترة محاولات واسعة لاستعمال طريقة(جنر) في التطعيم الوقائي من الجدرى والطاعون ففي سنة ١٧٨٦ قام(اوانيس مراديان) في بغداد باستعمال طريقة جنر في التطعيم الوقائي من الجدرى واقنع البغداديين بجدوى التطعيم . وكانت زوجته «تيريزا» تساعده في ذلك وقد استطاع وزوجته تلقيح اكثر من (٥٤٠٠٠) طفلا في تسع سنوات . وكان لمبادرة مفتي بغداد انذاك في تطعيم اولاده وحفيدته ضد الجدرى اثر كبير في اقتناع البغداديين بجدوى العلاج (٦٤) . وتشير بعض المصادر الى ان (مراديان) علّم القس بطرس بن بشارة الموصلي اصول التطعيم ليناهض وباء الجدرى في مدينة الموصل (٦٥). اما لوريمر فيشير الى ان طبيب المقيمية البريطانية ببغداد ادخل نظام

التطعيم ضد الطاعون عقب ان تلقى قدرا من امصال اللقاح من فينا في ٣٠ أذار ١٨٠٢ . وقد استخدمت هذه الامصال في اثناء بداية ظهور الطاعون ببغداد والبصرة في نيسان وايار من السنة ذاتها (٦٦) .

لقد ظهر في هذه الفترة عدد من العراقيين كانت لهم مشاركة فعالة في مجال الطب منهم على سبيل المثال محمد بن عبد الحسين الكاظمي الطبيب المتوفي سنة ١٨٠١ (٦٧) . وعلي بن محمد الحسيني الشهير بالحكيم ، توفى بالنجف سنة ١٨٨٣ وذكرله المؤرخون (١٧) مؤلفاً منها «رسالة في الوباء والطاعون» ويقال ان صيته ذاع في بغداد حتى انه استعمل الموسيقى في معالجة مرضاه (٦٨) . وبرز الطبيب اسماعيل الموصلي (ت١٨٨٤) في العلوم النفسية والعقلية وهو من مواليد الموصل ، تلقى علومه في مدرسة الصنائع التي اسسها مدحت باشا في بغداد سنة ١٨٧١ (٦٩) . وكان علي بن السيد محمد الطباطبائي (ت١٨٩٢) من المتبعين الماهرين في علم الطب . وقد اشتهر امره في مدينة النجف الاشرف (٧٠) . اما نظام الدين بك فكان طبيباً مختصاً بالامراض الباطنية . عمل في مستشفى نامق باشا ببغداد اواخر ١٨٩٣ (٧١) . وعرف عن شرف الدين بن السيد محمد منجم المرعشي (ت١٨٩٨) انه كان طبيباً نجفياً (٧٢) . وعمل السيد موسى بن هاشم العلوي (ت١٩٠٨) طبيباً في الكاظمية (٧٣) . كما عمل في الكاظمية كذلك موسى بن هاشم العلوى الملقب موسى فخر الاطباء (ت١٩٠٨) (٧٤) . ومن الاطباء المعروفين باقر بن خليل الخليلي النجفي وقيل انه كان «مرجعاً في الامراض المعضلة» وكانت له حلقة تدريس كبيرة توفى سنة ١٩١٤ (٧٥) .

كان لاعيان ووجهاء المدن واثريائها والاسر الحاكمة والقنصليات الاجنبية اطباء ، متخصصون . ولعل من ابرز الاطباء الاوربيين الذين عملوا في العراق خلال هذه الفترة الدكتور دي اربل De Erpel الذي اصبح الطبيب الخاص لوالي بغداد عمر باشا (١٧٦٤ – ١٧٧٥) . ويقال ان طبابته راجت وخاصة بين اعيان بغداد واثريائها (٧٦) . كما اشتهر الدكتور شارت Shart طبيب المقيمية البريطانية ببغداد والذي كان خير عون ، لأوانيس مراديان في نشر طريقة (جنر) في التطعيم ضد الجدري (٧٧) . وممن اشتهر ، ببغداد وكذلك سنة ١٩٠٩ طبيبان المانيان وفدا الى بغداد وعملا ضمن القنصلية الالمانية فيها ، هما الدكتور أدلر Adler والدكتور لازار Lazar وقد استخدم هذان الطبيبان في الادارة العلمية العثمانية فكان يرتديان الطربوش العثماني في اثناء مباشرة عملهما في المستشفى (٧٨) .

ومنذ اواخر القرن التاسع عشر ظهر مايؤيد استيراد الادوية الحديثة من خارج العراق فقد اشار السير واليس بدج Budge في رحلته الى العراق سنة ١٨٨٨ أن احد تجار ، بغداد كان يتولى استيراد صناديق الادوية المحتوية على سلفات الكنين والكلورود ين وما الى ذلك (٧٩) .

(ج) النشاطات الطبية للارساليات التبشيرية :

يعد الاباء الكرمليون والكبوشيون والدومنيكان من اقدم المبشرين الذين وفدوا الى العراق ففي سنة ١٦٢٣ حل الكرمليون في البصرة وصارت لهم في سنة ١٧٢١ ارسالية ببغداد (٨٠). . اما الكبوشيون فقد اسسوا رسالتهم في بغداد سنة ١٦٢٦ ثم قصد منهم جماعة الموصل في ١٦٣٢ . وعلى الرغم من ان اهداف المبشرين كانت دينية الأأنهم اتخذوا من التطبيب والتعليم وسيلة في الحصول على بعض المكاسب التبشرية (٨١) . فمنذ سنة ١٧٢٨ سمح والي بغداد للكرمليين بتوصية من فرنسا بأنشاء كنيسة ومدرسة للصبيان . و سنه ١٨١٥ افتتح أول مستوصف لهم ببغداد (٨٢) .

اما الاباء الدومنيكان الذين اسسوا رسالتهم في الموصل سنة ١٧٥٠ فقد كان يتقدمهم طبيبان ايطاليان مبشران هما الاب فرنسيسكو توريانى Tuoriane والاب دومنيكو كود يلنشيني Codelinchieni . وقد استقبلهم الجليليون بحرارة وافسحوا لهم مجالاً للعمل ودافعوا عنهم . واشتهر الدومنيكان بصناعة الطب . ولم تقتصر خدماتهم الطبية على مدينة الموصل وانما قد موها لكل من التجأ اليهم . فعندما مرضى أحد اقرباء حاكم العمادية بهرام باشا ١٧٥٣ ارسل امين باشا والي الموصل الاب توريانى لمعالجته . وفي سنة ١٧٥٤ استدعي الحاج حسين باشا الجليلي وكان يومذاك والياً على قارص الاب المذكور من الموصل لمعالجته من مرض ألم به . وقد توفي الاب كود يلنشيني في القوش سنة ١٧٥٣ . وفي تشرين الاول ١٧٦٩ قدم الموصل الاب جان باتيستا بويتي Boeiti ولما توفي احد مرضاه اتهم بتسميمه فحبسه فتاح باشا والي الموصل ثم نفاه في حزيران ، ١٧٧٠ . واشتهر من المبشرين الدومنيكان الاب منصور روفو P. Mansour Ruvo والاب ليولد سويدني Soidni (٨٣) .

وظل نشاط المرسلين الايطاليين محدوداً . اما اسباب ذلك فتعزى الى مواجهتهم متاعب مالية اضافة الى عدم تمتعهم بالحماية من قبل احد السفراء الاوربيين في استانبول لذلك اضطروا الى مغادرة الموصل سنة ١٨١٥ لكنهم عادوا اليها سنة ١٨٤٠ . وكان الاب ؛ اوغسطين ماركيي Merciai من انشط اولئك المبشرين الناجحين خلال الفترة بين

١٨٤٠ ـ ١٨٥٦ (٨٤) . ـ فبالاضافة الى نجاحه في ادخال عدد كبير من اليعاقبة والنساطرة في الكاثوليكية، فقد «ذكرت له شفاءات غريبة خارقة حققت على يديه» (٨٥) ـ ويقول الاب فييه «ان ماركيي كان يتمتع باحترام الجميع له ومما يؤيد ذلك أنه كان في سنة ١٨٥٢ يتجول بحرية في كل مناطق ولاية الموصل لتقديم خدماته الطبية للناس (٨٦) .

ولكي تحصل الرسالة الدومينيكية على الحماية الضرورية ولخوف البابوية من توافد المبشرين البروتستانت الى العراق منذ اواخر العشرينات من القرن التاسع عشر فقد سارع البابا بيوس التاسع سنة ١٨٥٦ فأصدر قراراً بنقل قيادة البعثة التبشرية الدومينيكية في ، الموصل الى دومنيكان فرنسيين (٨٧) . ولقد برز من هولاء في مجال الطب الاب هياسانت بيسون Besson والاب لويس ليون Lion والاب الرئيس كالان Galland ، والدكتور دنيس كوليه Collet . وقد اشار الاب فييه الى ورود ذكر طبيب مدني اوربي الى جانب الاباء وكان برلوني الجنسية منذ سنة ١٨٥٩ . كما وردت سنة ١٨٦٤ اشار الى طبيب اوربي آخر في الموصل (٨٨) .

كان الاباء الدومنيكان حتى هذه الفترة يعانون من ضيق البناء المخصص للمستوصف والصيدلية . غير ان الجنرال الفرنسي ليجون Leseune مر بالموصل سنة ١٨٦٧ قادماً من ايران واثناء رحلته اصيب بمرض سبب له الوفاة بعد بضع سنوات . وفي سنة ١٨٧٤ تبرعت والدته بمقدار كبير من المال لانشاء مستشفى في الشرق . وفي ١٨٧٦ تم افتتاح مستشفى ليجون في مبان اكثر ملاءمة مما كانت عليه من قبل. وقد انضم الى الخدمة في هذا المستشفى راهبات التقدمة ، وكن في الموصل منذ سنة ١٨٧٣ يقدمن خدماتهن الطبية (٨٩). ويشير الاب فييه الى ان عدد المرضى الذين أموا المستشفى سنة ١٨٧٧ كان يتراوح بين (٨٠ و ١٠٠) مريضاً يومياً . وقام المستشفى خلال ايام المجاعة التي حدثت بين سنتي ١٨٧٩ و ١٨٨٠ ، الى جانب تقديم العلاج الطبي بتوزيع الغذاء في كنيسة الساعة الكبيرة التي اهدتها اليهم الحكومة الفرنسية اقراراً منها بجهودهم التبشرية . لذلك اخذ عدد المراجعين يزداد فبلغ سنة ١٨٨٧ (٣٠) ثلاثين الف مراجع . وقد التحق بالاب ، المسؤول عن المستشفى راهبات ومساعدان وخادمة . وفي سنة ١٨٨٨ بلغ عدد المراجعين (٣٨,٢٠٠) مريضاً . وفي سنة ١٨٩٠ ارتفع عددهم الى (٥٢,٠٠٠) مريضاً أي (١٠٠٠) مراجع اسبوعياً وبمعدل (٢٠٠) مراجع يومياً. ومنذ سنة ١٨٨٧ خصصت قاعة للمعوزين

من المسافرين الغرباء. وبعد سفر الاب كوليه سنة ١٨٧٧ كان يدير المستوصف طبيب بولوني هو الدكتور الكسند ركوستاف Gustave الذي توفي في الموصل سنة ١٩٠٣ . ومن بعده تولى ادارة المستوصف وللسنوات ١٩٠٣ – ١٩٠٥ طبيب لبناني . وفي ١٩٠٧ . استطاع المستوصف الاستفادة من خدمات طبيب موصلي تخرج حديثاً من كلية الطب الفرنسية ببيروت وهو الدكتور حنا خياط الذي اخذ يحضر يومي الاربعاء والسبت من كل اسبوع لعيادة المرضى (٩٠) . وكانت الرسالة الدومنيكية تدفع له اجوره في حين كانت معالجة المرضى مجانية . وكان معدل المرضى الذين يستقبلهم يومياً يتراوح بين (٣٥ و٤٥) مريضاً . اما بقية ايام الاسبوع فكانت الاستشارات الطبية تقدم من قبل الراهبات وبمعدل (١٥٠ – ٢٠٠) مريض يومياً او مايقارب العشرين الف مريض سنوياً وثمة احصائية ترجع الى سنة ١٩٠٩ تشير الى ان عدد الذين استفادوا من خدمات المستوصف خلال تسعة اشهر بلغ (١٦٨٦٧) مريضاً بينهم (٨١٢٤) مسيحياً و(١٣٥٦) مسلماً و(١٣٨١) يهودياً . وعلى اثر نشوب الحرب العالمية الاولى غادر الاباء الموصل لكنهم عادوا سنة ١٩٢٠ لينصرفوا الى عملهم التبشيري ويتخلون عن نشاطاتهم الطبية بعد ان تحملت الحكومة العراقية مسؤولية تنظيم الخدمات الصحية (٩١) .

اما جمعية بعثة الكنيسة Church Missionary Society فقد اسست سنة: ١٨٨٢ مستشفى في بغداد. ثم مدت نشاطها بعد ذلك الى الموصل. ومن بين الذين عملوا في هذه البعثة انطوان كيفريلي Anton Givrail وروبروت بروس Robert Bruce (٩٢) :

كما اسست البعثة العربية التبشيرية Arabian Mission فرعاً لها في البصرة منذ آب ١٨٩١ واهتمت بالنشاط الطبي. ويذكر الكسندر أداموف: أن المساعدة الطبية المجانية للسكان كانت في مقدمة الوسائل التي حاول من خلالها المبشرون الاميركان تنفيذ اهدافهم التبشيرية ، اذ يقوم الطبيب في المستوصف بتلقين المريض حقائق تعاليم المسيح قبل ان يباشر فحصه (٩٣) وقد أنشأت وظيفة طبيب في ارسالية البصرة في ١٨٩٢ . واستقدمت البعثة التبشيرية بعض الاطباء المبشرين منهم الدكتور (جيمس وايكوف) الذي وصل البصرة سنة ١٨٩٤ ثم اعقبه الدكتور (لانكفور وورول) الذي وصل بعد زميله بسنة . وافتتح الاميركان لهم مراكز صحية في العمارة والناصرية .وفي سنة ١٨٩٧ بدأت السيدة زويمر Zwemer زوجة المبشر صموئيل زويمر بتطبيب النساء في البصرة ويقول أداموف « ان البعثة حرصت على ان يكون لها منذ تلك السنة امرأة طبيبة تمكنها من ان توصل الدعاية البروتستانتية الى النساء المسلمات» (٩٤) .ويذكر لوريمر بأن المبشرين كانوا يقدمون

الدواء والاستشارة الطبية للذين يحضرون صلاة الصباح التي كان يبدأ بها عملهم اليومي (٩٥) .

(د) المؤسسات الصحية الحديثة :

١ ـ المستشفيات :

ظهرت المؤسسات الصحية الحديثة في العراق منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر ولربما كان المستشفى الذي بناه محمد باشا البيرقدار والي الموصل سنة ١٨٤٤ هو اول ، مستشفى حديث في العراق (٩٦) . الاان معظم المصادر تؤكد بأن مدحت باشا الذي يعد من اعظم الولاة العثمانيين الذين حكموا العراق (١٨٦٩ ـ ١٨٧٢) وله فضل كبير في تحديثه ، قد بدأ الخطوات الاولى في تأسيس الكيان الصحي الحديث بتأسيسه مستشفى يتسع لـ (٥٠) سريراً على شاطيء دجلة في الجانب الغربي من بغداد بتبرعات الاهالي سنة ١٨٧٢ . وكان طبيب البلدية بمثابة المشرف العام على هذا المستشفى الذي ضم عدداً من الاطباء والجراحين وقد اغلق المستشفى في سنة ١٨٨٧ وذلك لقلة الكادر الطبي المؤهل وتحولت بنايته الى مدرسة اعدادية . وقد استمر هذا الوضع حتى فترة قصيرة من نشوب الحرب العالمية الاولى حين اعيد فتح المستشفى ثانية (٩٧) .

كما انشأ مدحت باشا المستشفى العسكري (الخسته خانة العسكرية) والذي وصفته جريدة الزوراء بعددها الصادر في ٢٣ جمادى الاول ١٢٨٦(١٨٦٩) ،بالمستشفى الكبير واحتوت بنايته على (١٨٠) سريراً ومعدات طبية حديثة . وبالرغم من محدودية هاتين المؤسستين الصحيتين لدى غالبية العراقيين الا ان مدحت باشا احدث نقلة نوعية في الميدان الطبي حيث بدأ الحملة الاولى للنهضة ضد التخلف والشعوذة والمرض المنتشر بين العراقيين آنذاك (٩٨)

اما الوالي الثاني الذي اهتم بتأسيس المستشفيات فهو نامق باشا (١٨٩٩ ـ ١٩٠٢)الذي يشبه مدحت باشا في اهتماماته الاصلاحية .ففي سنة ١٩٠٠ شيد مستشفى جديد في الباب الشمالي من بغداد على الجانب الايسر من نهر دجلة . وقد احتوى المستشفى على ردهة كبيرة وعدة غرف اعد بعضها لايواء المرضى وخصص البعض الاخر للامراض الباطنية والجراحة ولامراض العيون . اما ادارة المستشفى فكانت مؤلفة من الطبيب الاول (سر طبيب) والمدير والجراح والكحال .وكان الوالي يطمح لان يجعل هذا المستشفى من الطراز الاول فجلب اليه الادوية والالات الجراحية من اوربا . كما تعين فيه اطباء مختصون

امثال الفريق الطبيب حمدي باشا ، والدكتور ذهني بك للامراض الجلدية والدكتور ، نظام الدين للامراض الباطنية والدكتور سامي سليمان لامراض العيون والدكتور محمد كاني بك الذي تولى ادارته قبيل الحرب العالمية الاولى(٩٩). وبعد سنة ١٩٠٨ اسندت وظائف التمريض فيه الى النساء حيث عهد الى بعض الراهبات بالعمل كممرضات. وفي ١٩١٤ سعى الوالي جاويد باشا لتطوير المستشفى وزيادة عدد الاسرة فيه ،حيث كانت لاتتجاوز الى (١٠٠) سرير (١٠٠) .

لقد خلق الانقلاب العثماني الذي تم في ٢٣ تموز ١٩٠٨ ظروفاً جديدة ملائمة ، ومشجعة للنشاط الطبي وللتوسع في الخدمات الصحية . فقد شهد العراق في أعقاب ذلك تأسيس بضعة مستشفيات حديثة منها المستشفى الذي أسسه الوالي نجم الدين ملا سنة ١٩٠٩ وجلب لادارته طبيب عسكري يحمل رتبة عالية (١٠١) وكان في البصرة خلال هذه الفترة مستشفى الغرباء الذي يقع في محلة عز الدين ومستشفى البحرية في التنومة وقد خصصت أحدى البنايات لتكون مستشفى لعزل Isolation المومسات المصابات بالامراض الزهرية (١٠٢). ومارس الاطباء العسكريون العثمانيون الموجودون في البصرة آنذاك التطبيب المدني وقد تأسس في الموصل مستشفى مدني بالاضافة الى المستشفى العسكري الذي بني سنة ١٨٤٤ (١٠٣) .

ومهما يكن من أمر فان عدد المستشفيات التي تأسست في العهد العثماني كانت قليلة فقد كان هنالك عند اندلاع الحرب العالمية الاولى مستشفى واحد بعشرين سريراً في كل من بغداد والموصل والبصرة (١٠٤) .

ولم تكن في العراق ادارة صحية خاصة حتى ١٩٠٥ . حين تشكلت خلالها رئاسة : للصحة تألفت من اربعة اشخاص هم طبيبا البلدية ومفتش صحي وكاتب .. وفي ١٩٠٨ استحدث منصب مدير صحة الولاية . واستمر الوضع على هذا الحال حتى ١٩١٤ اذ : تأسست مصلحة الصحة العامة بعد الاحتلال البريطاني (١٠٥) .

ومع مطلع القرن الحالي بدأ الرعيل الاول من الاطباء العراقيين يعمل على تقديم ، الخدمات الطبية للمواطنين . وقد تمثل هذا الرعيل بخريجي كلية حيدر باشا الطبية : باستانبول (تأسست في مطلع القرن التاسع عشر) ومدرسة دمشق الطبية (تأسست سنة ١٩٠٣)والكلية الاميركية في بيروت (تأسست سنة ١٨٦٦) وكلية الطب الفرنسية في بيروت (تأسست سنة ١٨٨٣) ولعل في مقدمة هؤلاء: اسماعيل الصفار (تخرج ١٩٠٣) ومحمد

نصرت فؤاد (١٩٠٨) وعلي فكري البغدادي (١٩٠٨) وداؤد الجلبي (١٩٠٩) وحمدي زين العابدين (١٩١٢) وعبد الله الدملوجي (١٩١٣) ويحيى نزهت وجلال العزاوي، وداؤد الدبوني (١٩١٤) وفائق شاكر (١٩١٥) وحسين حسني (١٩١٦) ومحمد زكي وسامي شوكت (١٩١٧) وهاشم الوتري وصائب شوكت (١٩١٨) ، وشوكت الزهاوي (١٩١٩) وابراهيم عاكف الالوسي وتوفيق رشدي وشاكر السويدي (١٩٢٠) ، وبهجت خضوري وحنا خياط ونصوري فرج وفتح الله غنيمة ونور الله موسى وعبد الله قصير ورزق الله بحوشي . وقد تعاون هؤلاء مع الاطباء العرب والاجانب الذين عملوا في العراق وبلغ عدد هم سنة ١٩٢٢ (١٧٧) طبيباً ساهموا في وضع اسس الكيان الصحي الحديث في العراق (١٠٦) .

٢ ــ مؤسسات الحجر الصحي (الكرنتينه) :

لقد اثيرت قضية الوقاية الصحية في العراق والخليج العربي كلة في مؤتمر الصحة الدولي الذي انعقد في باريس سنة ١٨٩٤ . وفي مؤتمر الصحة الذي انعقد في البندقية سنة ١٨٩٧ . لذلك قررت السلطات العثمانية انشاء مركز للحجر الصحي (كرنتينة) في البصرة سنة ١٨٩٥ .

وكان الهدف الرئيس في انشاء المركز هو درء عدوى انتشار الطاعون من الهند والكوليرا من موانىء الخليج العربي الى العراق . لذلك فان السفن القادمة من هناك بمافيها سفن البريد كانت تتعرض للحجر والمراقبة لمدة عشرة ايام ويعزل ركابها في مركز الحجر الصحي ويجري تطعيم امتعتهم في الغرف التابعة للمركز . اما السفن القادمة من اوربا فكانت تتعرض للحجر والمراقبة ولكن لفترة اقل من عشرة ايام . ولقد تغيرت هذه القواعد منذ ١٩٠٩ بحيث اصبح بامكان السفن القادمة من الهند مواصلة سيرها بعد اجراء الكشف الطبي اذا كان قد مضى عليها في الطريق اكثر من عشرة ايام . اما السفن التي مضى عليها اقل من عشرة ايام فانها تظل في مركز الحجر الصحي حتى تكمل الايام العشرة ؛ كما ان السفن التي تحمل الزوار الهنود الى العتبات المقدسة فتكون مدة حجزها خمسة ايام (١٠٧) .

كان مركز الحجر الصحي في البصرة يتبع ادارة المجلس الصحي الدولي العثماني في استنبول . وفي ١٩٠٠ عين الدكتور « بوريل » الفرنسي بوظيفة الضابط الصحي في البصرة. وفي كانون الثاني ١٩٠١ كتب تقريرا الى المجلس الصحي عن موضوع الوقاية الصحية .

وقد انتقد بقسوة صرامة النظام المعمول به في البصرة ، اذ مابين آذار ١٨٩٦ وايلول ١٩٠٠ خضع لهذا النظام مالايقل عن (٤٠٩) سفن تجارية ، كما خضع للعزل والتطهير (٨٠٠٠) مسافر و (٢٠٠٠٠) الف عضو من اعضاء أطقم السفن بلا فائدة سوى ذلك الربح الصافي الذي يقدر بحوالي (٤٠٠٠) جنيه استرليني عادت الى الدائرة الصحية من تلك العمليات (١٠٨) . ويرى لوريمر بان نظام الحجر الصحي الذي ظل حتى ١٩١٤ نظرا الى التشديد الزائد والتغيير الدائم في القوانين عائقا خطيرا في وجه التجارة والسياحة في العراق . هذا فضلا عن ان القيمة الوقائية لهذا النظام ضعيفة جدا ، حيث ان كثيرا من المسافرين يتفادون هذا النظام (١٠٩) . اما لونكريك فيرى في نظام الحجر الصحي العثماني سلاحا مزعجا يستخدم بسهولة ضد الاجانب لان كل فرد بوسعه ان يشتري السماح التام بدراهم معدودة (١١٠) .

وفيما يتعلق بالحجر الصحي على المواطنين في اثناء انتشار الاوبئة والامراض فان هناك الكثير من النقد الذي وجه الى الاجراءات الوقائية التي كانت السلطات العثمانية تتخذها (١١١) .

فيشير لوريمر الى ان هذه السلطات لم تكن جادة في اتخاذ اجراءات وقائية على نطاق واسع في العراق ، فقد اسيء تطبيق الحجر الصحي المنزلي . اذ كانت العائلات الفقيرة تحبس حتى يقضي عليها الوباء ، بينما نجد ان الاغنياء كانوا يدفعون الرشاوي لاخلاء السبيل وينقلون العدوى معهم في تحركاتهم (١١٢) .

ومهما يكن من أمر فان السلطات العثمانية لجأت في فترات مختلفة وخاصة عند انتشار الامراض الى اقامة نقاط للحجر الصحي في كل من خانقين والسليمانية ومندلي وشهرزور الا ان تدابير الحجر ظلت غير مجدية ولم تطبق على الوجه المطلوب خاصة وان مستوى المشرفين عليها من الجند ورجال الامن وغيرهم كان من شأن ان يجعل تدابير الحجر الصحي شيئاً لااهمية له . ومع هذا فان السلطات الصحية استمرت بأتخاذ الاجراءات لحماية العراقيين من الامراض الوافدة ، فعلى سبيل المثال منعت الايرانيين من زيارة المراقد المقدسة حين انتشرت الكوليرا في ايران سنة ١٨٧٠ مالم يتزودوا بشهادة السلامة الطبية في نقاط الحجر الصحي . كما فرضت الحجر على جميع القادمين من الموانىء الايرانية . الا ان مثل هذه الاجراءات اثبتت عدم فعاليتها (١١٣) . ويعتقد لونكريك بأن موقف القوى الرجعية والمتنفذة لعب دورا كبيرا في فشل تلك الاجراءات حيث ان هذه القوى كانت تعد كل عمل يتخذ للحيطة ضربا من الزندقة وكثيرا ماأذن للقوافل الواردة من المناطق التي حل فيها الطاعون من ايران في ان تدخل العراق بكل حرية (١١٤) . ويضيف

الدكتور القهواتي الى ذلك قوله : « ولا نجانب الصواب اذا قلنا بأن التشدد في تنفيذ تعليمات دوائر الحجر الصحي والمبالغة في تطبيقها من قبل السلطة العثمانية المحلية كانت تأخذ احيانا طابعا سياسيا تبعا لعلاقة الدولة العثمانية بالحكومات الاجنبية » (١١٥) .

ولكن رغم المبالغات والانتقادات التي وجهت لمراكز الحجر الصحي العثمانية وكوادرها الا انه من الانصاف القول بأن الاجراءات تلك تبعا للامكانات المحدودة كانت كفيلة بالحد من انتشار الامراض لعديد من السنين خاصة لوعلمنا بأن عدد الوافدين لزيارة العتبات المقدسة في العراق من الهند وايران والمناطق الموبوءة الاخرى كان كبيرا لدرجة لوسمح لهم جميعا وبدون اجراءات وقائية بالمرور لحصد المرضى السكان حصدا في كل سنة ؛ وهذا ماكان يحدث بالفعل في السنوات التي كانت السلطات فيها تتساهل بالسماح لهم بالعبور او عندما كانوا يتحايلون على السلطة ويتخلصون من مراقبتها (١١٦) .

حقا لم يكن في العراق خلال العهد العثماني وحتى نشوب الحرب العالمية الاولى واحتلال الانكليز البصرة في ٢٢ تشرين الثاني ١٩١٤ ، مؤسسات صحية كافية لمواجهة حاجات السكان المتزايدة الى الرعاية الصحية. كما ان عدد الاطباء العراقيين كان قليلا لهذا فانه لم يكن لدى العثمانيين عند انسحابهم من العراق مايمكن الاعتماد عليه في المجال الصحي(١١٧).

٤ ــ الادارة والمؤسسات الصحية في عهد الاحتلال البريطاني :

اسست سلطات الاحتلال البريطانية في البصرة نظاماً اداريا. استمدت خطوطه الرئيسة من نظام الادارة الهندية . كما اعطت للقضايا العسكرية المرتبة الأولى من اهتمامها وتم استبدال الموظفين المسؤولين في الادارة العثمانية السابقة بضباط من الحملة البريطانية لم يكن لمعظمهم دراية بشؤون الحكم. ولم تتخذ الترتيبات اللازمة لتنظيم الخدمات الصحية الا بعد وصول السيد وليم ويلكوكس Wilcox من لندن في ١٩١٥ ليكون طبيبا مستشاراً للقوات البريطانية . وكان لوصوله اثر مباشر في تجديد الاوضاع الطبية في البصرة . خاصة بعد ان ادرك البريطانيون بضرورة اتخاذ اجراءات عاجلة لمواجهة النقص في المؤسسات الصحية بعد ان امتلأت المدينة بالقوات البريطانية التي بدأت ظروفا صحية صعبة (١١٨).

لقد عمل مع السير ويلكوكس في البصرة عدد من الأطباء الذين استدعاهم من الهند وكان لبعضهم «معرفة كبيرة بالاوضاع الصحية في بلدان الشرق» منهم الكولونيل ملفل Colonel H.G.Melville وكان استاذا في كلية لاهور الطبية في الهند Lahore Medical College (١١٩) .

مرت السياسة الصحية البريطانية في البصرة خلال الفترة ١٩١٤ ــ ١٩٢٠ بثلاث مراحل انحصرت الأولى بين احتلال البصرة في ٢٢ تشرين الثاني ١٩١٤ واحتلال بغداد في ١١ آذار ١٩١٧. اما المرحلة الثانية فقد كانت بين احتلال بغداد واحتلال الموصل في ١٠ تشرين الثاني ١٩١٨ وامتدت المرحلة الثالثة بين احتلال الموصل وتأسيس «وزارة المعارف والصحة العمومية» في ١٠ أيلول ١٩٢١ .

المرحلة الاولى :

كان اتجاه سلطات الاحتلال يكمن في اعتبار الخدمات الصحية للمواطنين شيئا ثانويا وكان هدفها الاساس في هذه المرحلة العمل على ضبط الامن وترسيخ السيطرة البريطانية لكن هذه السلطات سرعان ماوجدت ان اقامة المؤسسات الصحية مسألة ضرورية للمحافظة على صحة القوات المسلحة البريطانية وابقائها في منأى عن الامراض والحفاظ على فاعليتها لذلك حددت اماكن معينة كمستشفيات لاستقبال ومعالجة المرضى والجرحى من الضباط والجنود: كان اهمها قصر الشيخ خزعل، حاكم الاحواز الواقع في محلة الرباط وقصر الحاج محمود النعمة في منطقة يوسفان والمطل على شط العرب (١٢٠). هذا فضلا عن العديد من السفن المهيأة كمستشفيات صغيرة. وكانت سلطات الاحتلال تنقل المرضى والجرحى الى الكويت ثم الى الهند او الى الهند مباشرة بقصد المعالجة او النقاهة هناك. وقد تضاعفت عملية نقل المرضى الى الهند بصورة خاصة في شهر تموز ١٩١٦ حين بلغ المرضى من رجال الحملة البريطانية قرابة (١٨٠٠٠) رجل (١٢١):

كما استفادت سلطات الاحتلال من الخدمات الكبيرة التي كان يقدمها «مستشفى لانسنك التذكاري» التابع الى البعثة العربية التبشيرية في البصرة (١٢٢) .

هذا وعينت السلطات المحتلة الميجر نورمان سكوت Scott ، الذي كان يشتغل طبيباً في المقيمية البريطانية في العهد العثماني في ٣٠ كانون الاول ١٩١٤ كأول طبيب مدني يشرف على الشؤون الصحية في البصرة (١٢٣).

كما اتخذت الاجراءات اللازمة لفتح مستوصف عام في مدينة البصرة .وفي كانون الثاني ١٩١٥ بدأ المستوصف باستقبال المرضى (١٢٤). وفي هذه الفترة باشرت السلطات المحتلة بتأسيس مستشفى مدني . وقد بدأ المستشفى نشاطه الطبي لكنه لم يكن قادرا على استيعاب الاعداد الكبيرة من المراجعين . فبعد مضي اكثر من ستين لم يكن فيه سوى أربع ردهات تسع كل منها ثمانية مرضى فقط. وفي ٣١ كانون الأول ١٩١٧ غدا

المستشفى يضم مائة وخمسين سريرا. كما تبرع احد المواطنين بمبلغ عشرة آلاف روبية لتطويره وتزويده بالمعدات الطبية الحديثة وبعد ان شعرت السلطات البريطانية بزيادة الأقبال على المستشفى وخاصة العيادة الخارجية فيه عمدت في ١١ نيسان ١٩١٧ الى فرض اثمان للعلاج والدواء تراوحت بين ثمانية آنات (الآنة اربعة فلوس) وروبية واحدة (الروبية ٧٥ فلساً) وذلك لتخفيف الضغط على المستشفى (١٢٥) .

لقد اجرت السلطات المحتلة بضعة تحسينات على مستشفى البصرة ومن ذلك اضافة جناحين احدهما خاص بالجراحة في اليوم الأول من تموز ١٩١٧ تضم ستين سريرا والثاني للنساء يضم ثلاثين سريرا (١٢٦) .

قامت سلطات الاحتلال بفتح بضعة مستوصفات في العشار والزبير والقرنة والعمارة والناصرية وسوق الشيوخ وعلي الغربي وقلعة صالح ،وقد اشرف على هذه المستوصفات اطباء عسكريون بريطانيون ويساعدهم في عملهم بعض الأطباء والمضمدين الهنود . وقد اقبل السكان على المستوصفات اقبالا شديدا . فعلى سبيل المثال بلغ عدد المراجعين لمستوصف العشار منذ افتتاحه في الأول من نيسان ١٩١٥ وحتى ٣١ آذار ١٩١٧ (٤٠٩٣٣) مراجعاً . لكن هذا العدد سرعان ماتناقص منذ ربيع ١٩١٧ على اثر فرض السلطات المحتلة ضريبة نقدية على الدواء والعلاج. كما ان هذه المستوصفات ظلت تشكو من قلة العاملين فيها وضعف كفاءتهم . هذا فضلا عن النقص في الوسائل الطبية اللازمة للعلاج (١٢٧) .

واستفادت سلطات الاحتلال من مستشفى الحميات (العزل) العثماني لعزل المصابين بالامراض الزهرية. وقد استمر ذلك حتى اليوم الاول من تشرين الاول ١٩١٦ حين بدأت كذلك بأرسال المصابين بامراض معدية كالزحار والطاعون اليه. اما المصابون بالامراض العصبية فلم يكن من الممكن معالجتهم في البصرة لعدم وجود اطباء متخصصين لذلك كانوا يرسلون الى الهند للمعالجة (١٢٨).

وقامت سلطات الاحتلال بتطوير عمل المحاجر الصحية في البصرة بعد فترة تقل عن شهرين من تاريخ السيطرة على البصرة وذلك للحيلولة دون اصابة القوات المحتلة بالامراض المعدية التي كانت تأتي مع الاعداد الضخمة من جنود الامدادات وغيرهم من الوافدين الاجانب الذين يأتون بقصد العمل. وقد بدأ هذا الاهتمام حين عين الميجر اندرسن Anderson في ٩ كانون الثاني ١٩١٥ مديرا لصحة الميناء في البصرة. وفي آذار اتخذ الميجر اندرسن

بناية مستشفى البحرية العثمانية القديم في التنومة مركزا للحجر الصحي وافرد فيه اماكن محددة لمعالجة افراد السلطات المحتلة الذين يصابون ببعض الامراض المعدية كالطاعون والكوليرا والجدري. وفي ٤ أيلول ١٩١٥ انتقل المركز الى بناية الحجر الصحي العثماني وبنيت في المنطقة المجاورة له بضعة اكواخ تستوعب كل منها خمسين شخصا (١٢٩).

ان اهتمام السلطات البريطانية بالصحة العامة في البصرة لم ينطلق كما تقول المس بل: الا من وجهة النظر العسكرية وكأحتياطات ضرورية للمحافظة على صحة جنودها وضباطها والابقاء على فاعليتهم في القيام بواجباتهم العسكرية. أما الخدمات الصحية التي قدمت للمواطنين ،فقد كانت كذلك «وسيلة مقنعة من وسائل الدعاية (للبريطانيين) يفوق جميع الوسائل الاخرى التي ابتدعها الخطباء المصقعون او ابرع الناشرين من الكتاب (١٣٠) .

وبالرغم من الاجراءات الصحية التي قامت بها سلطات الاحتلال والتي سارت مع التدابير الوقائية في خط واحد لتحسين الاوضاع الصحية واشاعة النظافة واستخدام المباول والمراحيض والمحارق وتفتيش المجازر والاسواق وشن حملة على الذباب والقئران : وترتيب جمع القمامة من الشوارع ، الا أن هذه الأجراءات لم تقف حائلا امام انتشار الكثير من الامراض والاوبئة التي وفدت مع القوات البريطانية نفسها فبعض الامراض مثلا لم تكن شائعة في البصرة ، لكنها اخذت تنتشر في اثناء الاحتلال وبعده كالبرداء (الملاريا) وقد كانت الملاريا سبباً في وفاة (٧ ٪) من الوفيات المسجلة بالبصرة سنة ١٩١٧ . كما جاءت النزلة الوافدة (الانفلونزا) مع العسكريين البريطانيين القادمين من الهند واوربا فسببت عددا هائلا من الوفيات وكذلك مرضا (التهاب السحايا) و(الحمى الراجعة) اللذان لم يكونا معروفين في البصرة قبل الاحتلال وقد جاءا اليها مع سفن الامدادات والتجهيزات البريطانية من مصر وافريقيا واوربا (١٣١) .

المرحلة الثانية :

احتلت القوات البريطانية بغداد في ١١ آذار ١٩١٧ . وبدأت سلطات الاحتلال بتنظيم الادارة على نحو اكثر تعقيداً من الادارة التي اسست في ولاية البصرة . كما رفعت درجة رئيس الضباط السياسيين بحيث اصبح حاكماً مدنياً عاماً Civil Commissioner وقد انيطت الشؤون الصحية بطبيب عسكري معار من احدى الفرق العسكرية يساعده في ذلك قسم من اقسام « دائرة الصحة العسكرية » وقد استمر ذلك حتى ربيع

١٩١٩ . وكانت جميع التجهيزات الطبية والجراحية تقدم من المخازن العسكرية علماً بأن المؤسسات الصحية المدنية لم تكن مترابطة بعضها ببعض ، نظراً لعدم وجود أية دائرة مركزية ترجع اليها لكن هذا النقص عولج من آب ١٩١٨ بتعيين نائب لمعاون مدير الخدمات الطبية يشتغل في دائرة المدير العسكرية للخدمات الطبية ويقوم بدور ضابط ارتباط لهذا الغرض . وفي شباط ١٩١٩ اصبح رئيساً (لمصلحة الطب) التي سميت بعد ذلك (مصلحة الصحة) . ثم عين « سكرتيرا للشؤون الصحية » في آذار ١٩١٩ حينما تكامل تنظيم مصلحة الصحة (١٣٢) . وكان يوجد يومذاك خمسون مستشفى ومستوصفاً مدنياً يدير ثلثاها موظفون مدنيون مع ان تسعة منها كان يشرف عليها اطباء عسكريون . وفي ١٩١٩ تكونت نواة المذخر الطبي الملكي في بغداد . وبدأت العناية بالصحة العامة تنتقل شيئاً فشيئاً الى السلطات المدنية . وتشمل هذه تفتيش السجون والاسواق والمجازر واعداد المياه المعقمة والاجراءات الضامنة للنظافة العامة ومكافحة الفئران والبعوض والذباب (١٣٣)

المرحلة الثالثة :

دخلت القوات البريطانية مدينة الموصل في ١٠ تشرين الثاني ١٩١٨ وعين الكولونيل ليجمن Leachman حاكماً سياسياً وعسكرياً فيها . وقد اتخذت السلطات المحتلة بعض الاجراءات الصحية منها توسيع مستشفى الهلال الاحمر العثماني في الموصل وجعله مستشفاً مدنياً فيه قاعات للنساء والرجال . وكان يساعد الجراح المدني فيه معاون طبيب انكليزي ورئيسة ممرضات مع ممرضتين انكليزيتين وعدد من الممرضات الارمنيات وطبيبان او ثلاثة من العراقيين واحدهم تلقى دراسته الطبية في باريس . وقد فتحت المستوصفات في جميع مراكز الاقضية . كما قدم بعض الاطباء العسكريين البريطانيين في هذه المناطق خدماتهم الطبية (١٣٤) .

كما بدأت السلطات الصحية بمواجهة مخاطر انتشار الملاريا في المناطق الجبلية من ولاية الموصل . وتم ذلك بتوزيع (الكنين) مجاناً كتدبير من التدابير الصحية (١٣٥) .

التطورات الصحية في العراق ١٩١٨ ــ ١٩٢٠

لجأت السلطات البريطانية لتأمين الخدمات الصحية والطبية للناس الى استخدام عدد من الاطباء العراقيين الموجودين في البلاد او الذين عادوا بعد الهدنة الى العراق في المؤسسات الصحية المنتشرة في انحاء مختلفة . ولعل من ابرز الذين عينوا أو اعيد تعيينهم في فترة

الاحتلال : الاطباء نور الله موسى، فائق شاكر ، وجوركيان، وصموئيل اداتو ، وصبري مراد ، وف . بانا ، وستاوروز ، وأكوب جوبانيان في بغداد . والاطباء حنا خياط ، والساعاتي ، ويحيى رفعت ، وقليان ، ورؤوف ، في الموصل والدكتورين عيسى نوري وفتح الله في كركوك والدكتور بشير حنا سرسم في اربيل والدكتور جميل في كفري والدكتور محمد نصرت فؤاد في كويسنجق والدكتور فاجابديان في السليمانية والدكتور التونيان في مندلي والدكتور ن. فرج في بعقوبة (١٣٦) .

كما استقدم عدد من الاطباء من لندن، وتولت الاخوات الراهبات الخدمة في المستشفيات المدنية في البصرة وبغداد والموصل . وتأسست في بغداد والموصل مستشفيات خاصة ، بالنساء والاطفال وفتح في الناصرية مستشفى بأسم «تذكارمود» وقد تولت الممرضات البريطانيات والفرنسيات تدريب البنات العراقيات على مهنة التمريض (١٣٧) .

لقد اهتمت السلطات المحتلة في هذه المرحلة بتأسيس مذخر للوازم الطبية والمواد ، اللقاحية . واصبح في بغداد وحدها بضعة مؤسسات طبية وصحية فالى جانب مستشفى الرجال المدني ومستشفى النساء المدني كان هناك مستشفى للحميات ومعهد للاشعة السينية ومعهد لطب الاسنان ومستوصفات ودار تمريض للضباط ومستشفى للامراض الزهرية مخصص للنساء (١٣٨) .

كما جرت محاولة لاعادة تنظيم ترتيبات الحجر الصحي وانشاء مستوصف خاص لمعالجة الزوار . وتولت دائرة الصحة العناية بالجثث التي كانت تنقل لتدفن في كربلاء والنجف (١٣٩) ، وكمحاولة لتنظيم هذه العملية فقد أفرضت السلطات المحتلة ضريبة بأسم « ضريبة الدفينة » تؤخذ على كل متوفي تجاوز عمره الثلاث سنوات ويجلب للدفن في كربلاء والنجف . وقد جمعت السلطات المحتلة مبالغ كبيرة من ذلك قدرت سنة ١٩١٨ (٤٨,٠٠٠) روبية لهذا تضايق العراقيون من ثقل هذه الضريبة وكانت سببا في تذمرهم من سياسة الانكليز (١٤٠) .

الادارة الصحية ١٩٢٠ ــ ١٩٢١ :

اعلن الانتداب البريطاني على العراق في ٢٦ نيسان ١٩٢٠ وشهد العراق اثر ذلك حركة مقاومة شديدة للسلطات البريطانية. اذ عقدت الاجتماعات الشعبية واقيمت المظاهرات في مناطق العراق المختلفة ثم تطورت الحركة الوطنية الى ثورة كبرى اندلعت في الثلاثين من حزيران ١٩٢٠ (١٤١) .

لقد كان على الحكومة البريطانية تغيران سياستها بعد الثورة ، فأصدرت اوامرها بنقل السر ارنولد ولسن وكيل الحاكم المدني العام ليحل محله السر برسي كوكس الذي وصل في ١١ تشرين الاول ١٩٢٠ . لذلك بدأت حركة استبدال الكوادر الطبية البريطانية، بكوادر وطنية فازداد عدد الاطباء العراقيين في ١٩٢١ الى اكثر من (٨٠) طبيباً بينما انخفض عدد الاطباء البريطانيين من (٤٠) طبيبا الى (٢٠) طبيبا . اما الممرضات البريطانيات فقد انخفض من (٢٤) الى (١١) ، وانخفض عدد المساعدين الهنود من (٢٠٠) الى (٤) افراد فقط (١٤٢) .

لقد ترأس مديرية الصحة العراقية طبيب موصلي هو الدكتور حنا خياط وعين الدكتور هاليـنان Hallinan مفتشا بريطانيا عاما للصحة. وسرعان مانظمت بعض الدورات التدريبية في الصيدلة والتمريض . واستخدم بعض الاطباء العرب وخاصة من سوريا ولبنان للعمل في العراق (١٤٣) .اما ابرز الاطباء البريطانيين الذين قدموا خدماتهم الطبية في سنوات التكوين والممتدة من ١٩١٤ — ١٩٢٠ منهم ، الاطباء : بيشوب Bishop ووود Wood وفنش Finch ، والجراح نويل براهام ؛ Braham ووليم ولسن Wilson الذي كان طبيباً مختصاً في الانف والاذن والحنجرة (١٤٤) . واخيراً السير هاري سندرسن باشا Sinderson (١٤٥) .

تأسيس وزارة الصحة :

اذاع السر برسي كوكس في ١١ تشرين الاول ١٩٢٠ بياناً عاماً اشار فيه الى ان حكومته انتدبته لتشكيل حكومة وطنية في العراق باشراف الحكومة البريطانية(١٤٦) وقد تشكلت ؛ الحكومة العراقية الاولى برئاسة عبد الرحمن الكيلاني نقيب اشراف بغداد في ٢٥ تشرين الاول واصبح لقضايا التعليم والصحة وزارة واحدة سميت (وزارة المعارف والصحة العمومية) وقد تسلم مسؤولية هذه الوزارة عزت باشا الكركوكي وكان يشغل في العهد العثماني منصباً عسكرياً عالياً . وفي ٢٢ شباط ١٩٢١ اصبح محمد مهدي وزيراً للمعارف والصحة العمومية وبقي في هذا المنصب حتى ٢٣ آب ١٩٢١ ، وهو يوم استقالة الوزارة النقيبية الاولى بعد تتويج فيصل ملكاً على العراق وفي الوزارة النقيبية الثانية التي تشكلت في ١٢ أيلول ١٩٢١ اصبحت وزارة الصحة وزارة منفصلة وتولى الدكتور حنا خياط مسؤوليتها والى جانبه الكولونيل كراهام مستشاراً بريطانياً للوزارة (١٤٧) .

خلاصة واستنتاجات :

١ ــ على الرغم من ان العثمانيين وضعوا حجر الاساس في الكيان الصحي الحديث الاان سياستهم الصحية كانت مشوبة بالكثير من مواطن النقص والضعف التي استمر تأثيرها زمناً بعيداً . فالمؤسسات الصحية التي انشأوها لم تكن قادرة على تحسين اوضاع السكان الذين ظلوا يعانون من انتشار الامراض والاوبئة كالطاعون والكوليرا ولعل من اسباب فشل العثمانيين في هـذا الميدان النقص الكبير الذي كـان مـوجـوداً في الملاك الطبي . ولقد ادى ذلك الى ارتفاع نسب الوفيات في بعض الامراض . كما ان انتشار الرشوة بين الموظفين كان سبباً في تحايل الوافدين لزيارة العتبات المقدسة والحصول على بطاقات السماح للدخول (١٤٨) .

٢ ــ وخلال الاحتلال البريطاني ١٩١٤ ــ ١٩٢٠ سارت الامور في بعض الميادين على المنوال الذي كانت عليه في أيام حكم العثمانيين . لكن سياسة البريطانيين الصحية تميزت ببضعة امور ، منها ، ان الاهتمام بالصحة العامة جاء من زاوية مصلحة المحتلين في الحفاظ على افراد قواتهم العسكرية والحيلولة بينهم وبين المرض المعدي . كما عمدت سلطات الاحتلال وخاصة قبل ثورة ١٩٢٠ الى (عسكرة) الادارة الصحية واتضح هذا من خلال استخدام العديد من الضباط في الصحة امثال الكولونيل بتي Batty والفتنت كولونيل كراهام Graham والكولونيل لين Lane والفتنت كولونيل هامرتن Humertan ومعظمهم من العاملين السابقين في الخدمة الصحية في الهند The Indian Medical Service (١٤٩) . ويذكر الدكتور حنا خياط بأن ادارة الاحتلال في بغداد مثلا استخدمت حتى تكوين الحكومة العراقية المؤقتة (٤٥) طبيباً بريطانياً و (٨٠) موظفاً صحياً هندياً (١٥٠) .

٣ ــ ولم تكن الأحوال الصحية في عهد الاحتلال مرضية ، فالغالبية العظمى من السكان كانت ترزح تحت وطأة اوضاع صحية متدهورة (١٥١). فقد ذكر ريتشارد كـوك Coke انه لايوجـد قطر في العالم بحاجة الى الوقاية بقدر ماكان يحتاجه العراق آنذاك(١٥٢). اما الأيوبي فيشير في مذكراته بان تقارير الوضع الصحي في مدينة كربلاء كانت مفزعة. وقال بأنه وجد في البصرة مقاه مرخصة من السلطات البريطانية يتعاطى فيها الناس الافيون(١٥٣). ووصف كوينسي رايت Right حالة الاطفال في بغداد بقوله أن اكثرهم مرضى او فاقدوا النظر (١٥٤). ونقل عن فحص طبي اجري في سنة ١٩٢٠ بأن نتيجة

الفحص كشفت بأن (٤٤ ٪) ممن اجري عليهم الفحص كانوا مصابين اصابات خطيرة في عيونهم وان (١٢ ٪) فقدوا نظرهم. وقد ظلت امراض الكوليرا والطاعون و الجدري والحصبة والسعال الديكي والنكاف والتيفوئيد والزحار امراضا متوطنة في العراق (١٥٥). وكانت الاصابات المسجلة تزيد في هذه الفترة على عدة آلاف في بعض هذه الامراض وخاصة الجدري. اما الامراض الاخرى كالملاريا والانكلوستوما والبلهارزيا فقد كانت امراضا شائعة (١٥٦). وتفيد التقارير الصحية المرفوعة عن مدينة بغداد وحدها خلال الفترة ١٩١٨ – ١٩٢١ بأن – الوفيات كانت تزيد على الولادات في كل سنة من سنوات الفترة المذكورة كما توضحها الاحصائية التالية (١٥٧):

السنة	الولادات	الوفيات
١٩١٨	٢٤٠١	٣٣٧٤
١٩١٩	٢٣٠٢	٥١٤٤
١٩٢٠	٣٤٥٠	٣٨٨٩
١٩٢١	٢٠٢٢	٥٦٦٧

٤ – كما سارت سلطات الاحتلال في مجال الرعاية الصحية ببطء شديد . ويدل ما خصصته هذه السلطات من اعتمادات مالية ضئيلة جدا في الميزانية للصرف على شؤون الصحة رغم حاجة البلاد الى خدمات صحية واسعة النطاق . على اهمال السلطات البريطانية للصحة . ويوضح الاستاذ منتشا شفيلي ذلك بقوله : ان ماخصص للصحة خلال السنوات الاخيرة من الاحتلال لم يكن يتجاوز الـ (٦,٥ ٪) من مصروفات الميزانية وهي نسبة ضئيلة اذا ماقيست بما يصرف على بعض المصالح الاخرى في البلاد كالشرطة مثلا التي خصص لها نحو (١٤ ٪) من الميزانية العامة (١٥٨) .

٥ – وبعد تشكيل الدولة العراقية سنة ١٩٢٠ تأسست وزارة الصحة لتتسلم مسؤولية ادارة الصحة في البلاد والاشراف عليها . كما اتجهت جهود الوطنيين الى مزيد من العناية بالصحة وظهرت دعوات جادة بين المثقفين ومن خلال الصحف الوطنية تؤكد « بأن لاتقدم يرجى في حالة البلاد الصحية اذا لم يتوفر عدد من الأطباء العراقيين للعناية بصحة السكان وقائياً وعلاجيا » (١٥٩) . لذلك اختمرت فكرة تأسيس الكلية الطبية (١٦٠) وقامت الجمعية الطبية البغدادية التي تشكلت في ١٤ آب ١٩٢٠ بمناقشة الفكرة التي لم تتحقق

الا في ٢٩ تشرين الثاني ١٩٢٧ حين فتحت الكلية الطبية ابوابها لعشرين طالبا (٧) منهم مسلمين و (٨) يهود و (٥) – مسيحيين (١٦١)

٦ – ثم قامت في وزارة الصحة محاولات اصلاحية لرسم سياسة صحية واضحة تساعد في تغيير الواقع الصحي في العراق . ويشير الى ذلك الدكتور حنا خياط ، اول وزير للصحة بقوله :انه شرح للملك فيصل الاول صباح يوم ٢٢ تشرين الاول ١٩٢٢ حالة البلاد الصحية السيئة فقال له الملك « هاهي اذن حالة بلادك ، وانت اول اطبائها فماذا اعددت لاصلاحها » فاجابه إنني أعد آلان منهجاً (خطة) لأعمال الصحة .. لمدة عشر سنوات ... » (١٦٢) . وقد تقررت الخطة وشرعت وزارة الصحة بتنفيذها ولعل من ابرزها تأسيس تشكيلات صحية حديثة واصدار تشريع ينظم المصالح الصحية والطبية وتهيئة ملاك طبي وتجهيز مصالح الصحة بأبنية ملائمة واتخاذ التدابير الفعالة لاعداد وتدريب العناصر العراقية والتخصص بالفروع الطبية وتأسيس المختبرات والمعاهد الطبية وتأمين الاشراف الصحي على بعض دوائر الدولة والمساهمة في رفع المستوى الصحي في المدن والقرى والارياف (١٦٣) . الا انَ سياسة وزارة الصحة ظلت لسنوات تالية عرضة للنقد الشديد من لدن الاوساط المثقفة والوطنية وذلك بسبب ضعف فاعليتها في تقديم المساعدة الطبية للسكان ورفع مستواهم الصحي . الا ان ذلك لم يكن من مسؤولية وزارة الصحة وحدها بل يتعلق بطبيعة الواقع السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي الذي كان بحاجة الى التغيير وقد تحقق ذلك في ١٤ تموز ١٩٥٨ حين بدأت بعد الثورة مرحلة جديدة في تاريخ العراق المعاصر (١٦٤) .

الهوامش والتعليقات :

(١) للتفاصيل انظر : د. جعفر حسين خصباك ، العراق في عهد المغول الايلخانيين ، (بغداد ، ١٩٦٨) ص ٢٠٦ – ٢٠٨ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٢٠٩ .

(٣) للتفاصيل انظر : عبد الحميد العلوجي ، تاريخ الطب العراقي ، (بغداد ، ١٩٦٧)

(٤) خصباك ، المصدر السابق ، ص ص ٢٠٩ – ٢١٣ .

(٥) المصدر نفسه ، ص ٢١٧ .

(٦) العلوجي ، المصدر السابق ، ص ١٤٦ .

(٧) المصدر نفسه ، ص ص ١٤٦ – ١٤٧ .

(٨) المصدر نفسه ، ص ١٤٧ .

(٩) خصباك ، المصدر السابق ، ص ٢١٩ .

(١٠) المصدر نفسه ، ص ٢١٩ .

(١١) عباس العزاوي ، تاريخ العراق بين احتلالين ، ج١ (بغداد ١٩٥٤) ص ٣٣٤ .

(١٢) المصدر نفسه ج١ ، ص ٤٣٧ .

(١٣) عمر رضا كحالة ، معجم المؤلفين ، ج٩ ، (بيروت ، لا ، ت) ، ص٢٩٥ .

(١٤) العزاوي ، تاريخ العراق ، ج١ ، ص ٤٣٧ .

(١٥) المصدر نفسه ، ج١ ، ص ٤٣٧ .

(١٦) عباس العزاوي ، تاريخ علم الفلك في العراق ، (بغداد ، ١٩٥٨) ص ٧٠، كحالة ، المصدر السابق ، ج٦ ، ص ١٢٦ .

(١٧) العزاوي ، تاريخ العراق ، ج١ ، ص ٤٥٩ .

(١٨) كحالة ، المصدر السابق ، ج٦ ، ص ١٩٧ .

(١٩) العزاوي ، تاريخ العراق ، ج٢ ، ص ٤٠ .

(٢٠) العزاوي ، تاريخ علم الفلك ، ص ٩٦ .

(٢١) للتفاصيل انظر : محمد بن ابراهيم بن ساعد الانصاري المعروف بأبن الاكفاني ، غنية اللبيب عند غيبة الطبيب ، تحقيق صالح مهدي عباس نشرة بالرونيو صادرة عن مركز احياء التراث العلمي العربي بجامعة بغداد ، (بغداد ، ١٩٨٤) ص١ .

(٢٢) المصدر نفسه ، ص ٢ .

(٢٣) صلاح الدين خليل بن ايبك الصفدي ، ج٢ ، (استانبول ١٩٤٩) ص ٢٥ .

(٢٤) للتفاصيل انظر : مقدمة محقق مخطوطة ابن الأكفاني ، السيد صالح مهدي عباس ، المصدر السابق ، ص ص ٧ – ١٠ .

(٢٥) ورد اسمه في المخطوطة التي تضمها مكتبة المتحف العراقي المرقمة ٣٣٠٠١ « بغية اللبيب عند غيبة الطبيب » انظر : اسامة النقشبندي،مخطوطات الطب والصيدلة في مكتبة المتحف العراقي ، (بغداد، ١٩٨١) ص ٢٢٩ .

(٢٦) ابن الاكفاني ، المصدر السابق ، ص ص ٢٠ - ١٢٩ .

(٢٧) المصدر نفسه . ص ص ١٤ - ١٥ (مقدمة المحقق) .

(٢٨) توجد نسخة من هذه المخطوطة في مكتبة المتحف العراقي برقم ٢٣٤٦ .
انظر : النقشبندي ، المصدر السابق ، ص ص ٣٠٩ - ٣١٠ .

(٢٩) العزاوي ، تاريخ العراق ، حـ٣ ، ص ٧٦ .

(٣٠) المصدر نفسه ، حـ٣ ،ص ٨٦ .

(٣١) د. حسن فاضل زعين ود. نوري عبد الحميد خليل « الثقافة العربية ومراكز العلم في العراق في الفترة الجلائرية » مجلة دراسات للاجيال ، بغداد ، السنة (٥) ، العدد (١) آب ١٩٨٤ ، ص ٤١ .

(٣٢) خصباك ، المصدر السابق ، ص ٢٢٠ .

(٣٣) المصدر نفسه ، ص ٢١٤ .

(٣٤) المصدر نفسه ، ص ٢١٦ .

(٣٥) المصدر نفسه ، ص ٢١٧ .

(٣٦) المصدر نفسه ، ص ٢١٧ .

(٣٧) عبد الله بن فتح الله الغياثي ، التاريخ الغياثي ، الفصل الخامس ، دراسة وتحقيق د طارق نافع الحمداني ، (بغداد ، ١٩٧٥) صص ٩١، ٩٣. وللتفاصيل عن اوضاع العراق السياسية في العهد الجلائري (١٣٣٧ - ١٤١١) انظر بحثنا « اوضاع العراق السياسية في عهد السلطان احمد الجلائري » مجلة اداب الرافدين ، كلية الاداب ، جامعة الموصل ، العدد (٨) ١٠ آب ١٩٧٧ . ص ص ١٢٧ - ١٥٩ .

(٣٨) موسيس دير هاكوبيان ، حالة العراق الصحية في نصف قرن ، (بغداد ، ١٩٨١) ، ص ص ٢٧ - ٢٨ .

(٣٩) نمير طه ياسين ، بدايات حركة التحديث في العراق ١٩٦٩ - ١٩١٤ رسالة ماجستير ، باشرافنا ، غير منشورة قدمت الى معهد الدراسات القومية والاشتراكية بالجامعة المستنصرية ١٩٨٤ ، ص ٣٨ .

(٤٠) للتفاصيل انظر : ستيفن همسلي لونكريك ، اربعة قرون من تاريخ العراق الحديث ، ترجمة جعفر الخياط ، ط٥ ، (بغداد ، لا. ت)ص ص ١١٩،١٤٩، ١٥٠،١٥٣، ١٥٨، ١٩١، ٢١٧، ٢٢٦، ٢٣١، ٢٤٠، ٢٥٠، ٢٦٥، ٢٧٠، ٣٠٠) انظر حول عدد سكان العراق في اواسط القرن التاسع عشر والذي لم يكن يتجاوز المليون وربع

المليون نسمة ، د. محمد سلمان حسن ، التطور الاقتصادي في العراق ، (صيدا – بيروت لا . ت) ص ص ٣٧، ٤٠، ٥١

(٤١) ج. ج لوريمر ، دليل الخليج ، القسم التاريخي ، حـ٦ ، طبعة جديدة معدلة ومنقحة اعدها قسم الترجمة بمكتب امير دولة قطر ، (الدوحة لا. ت) ص ص ٣٦٥٩، ٣٦٦٦، ٣٦٦٩، ٣٦٧٠، ٣٦٧٤، ٣٦٨١ .

(٤٢) انظر رسالتنا للماجستير « ولاية الموصل : دراسة في تطوراتها السياسية ١٩٠٨ – ١٩٢٢» قدمت لجامعة بغداد ١٩٧٥ ، وهي غير منشورة ص ٢٠٦ وما بعدها .

(٤٣) حميد احمد حمدان التميمي ، البصرة في عهد الاحتلال البريطاني (بغداد ، ١٩٧٩) ص ٣٩٢ .

(٤٤) العاوجي ، المصدر السابق ، ص ص ٧٣ – ٧٤ .

(٤٥) احمد شوكت الشطي ، العرب والطب ، « دمشق، ١٩٧٠ » ص ص ١٣٤ – ١٣٥

(٤٦) د. عماد عبد السلام رؤوف ، الموصل في العهد العثماني ، (النجف، ١٩٧٥) ، ص٣٩٥

(٤٧) للتفاصيل انظر : رؤوف ، المصدر السابق ، ص ص ٣٩٥ – ٣٩٦ ، النقشبندي ، المصدر السابق ، ص ٢٢٦ .

(٤٨) في مكتبة المتحف العراقي نسخة من هذا الكتاب برقم ١١٤٦٧ .
انظر : النقشبندي ، المصدر السابق . ص ٢٢٦ .

(٤٩) للتفاصيل انظر رؤوف ، المصدر السابق ، ص ٣٩٦ .

(٥٠) للتفاصيل انظر : محمد امين العمري ، منهل الأولياء ومشرب الاصفياء من سادات الموصل الحدباء ، تحقيق سعيد الديوه جي حـ١ (الموصل ، ١٩٦٧) ، ص ص ٢٦٧ – ٢٦٨

(٥١) انظر مقالنا « محمد العبدلي الطبيب » جريدة الحدباء (الموصلية) ١٩ حزيران ١٩٨٤ .

(٥٢) رؤوف ، المصدر السابق ، ص ٤٠٠ .

(٥٣) داؤد الجلبي ، مخطوطات الموصل ، (بغداد ، ١٩٢٧) ص ١٥ .

(٥٤) رؤوف ، المصدر السابق ، ص ص ٣٩٨ – ٣٩٩، كحالة ، المصدر السابق ، حـ٩ ص.٧ ،

(٥٥) انظر مقالنا « محمد العبدلي الطبيب » .

(٥٦) انظر مقالنا « الطبيب محمد الجلبي الموصلي » جريدة الحدباء ١٧ تموز ١٩٨٤ .

(٥٧) اسمه الاصلي القس عبد الاحد بن القس حنا بن عبد الاحد الصباغ من بيوتات السريان . وقد دخل الاسلام وتسمى محمدا . انظر : رؤوف المصدر السابق ، ص ٣٩٦ ، كحالة ، المصدر السابق ، حـ١٠ ، ص ٧٢ .

(٥٨) رؤوف ، المصدر السابق ، ص ص ٣٩٦ – ٣٩٧ .

(٥٩) انظر : الجلبي ، المصدر السابق ، ص ص ٢٧٠ ، ٢٩٣ .

(٦٠) المصدر نفسه ، ص ٢٧٠ .

(٦١) المصدر نفسه ، ص ص ٢٨٤ – ٢٨٥ .
(٦٢) المصدر نفسه ، ص ٢٨٥ .
(٦٣) المصدر نفسه ، ص ص ٢٦٨ ، ٢٧٢ .
(٦٤) العلوجي ، المصدر السابق ، ص ص (ف ، ص) .
(٦٥) انظر : مجلة لغة العرب ، المجلد (٧) ، ١٩٢٩ .
(٦٦) لوريمر ، المصدر السابق ، القسم التاريخي ، ج٤ ، ص ١٩١٢ .
(٦٧) العلوجي ، المصدر السابق ، ص ٣٦٠ .
(٦٨) انظر : كحالة ، المصدر السابق ، ج٧، ص ١٩٣ ، العلوجي ، المصدر السابق : ص٤٢٠ .
(٦٩) العلوجي ، المصدر السابق ، ص ٣٦٩ .
(٧٠) المصدر نفسه ، ص ٤٢٤ .
(٧١) المصدر نفسه ، ص ٤٥٤ .
(٧٢) المصدر نفسه ، ص ٤٢١ .
(٧٣) المصدر نفسه ، ص ٤٥٢ .
(٧٤) كحالة ، المصدر السابق ، ج١٢ ، ص ٥٠ .
(٧٥) العلوجي ، المصدر السابق ، ص ٣٧٣ .
(٧٦) العلوجي ، المصدر السابق ، ص ١٤٥ .
(٧٧) المصدر نفسه ، ص ١٤٧ .
(٧٨) Haskell Isaacs, Britain's contribution to Medicine and the teaching of Medicine Iraq, British society for Middle tastern s udies Bulletin, London , 1976, vol3 No, I, P.20
(٧٩) العلوجي ، المصدر السابق ، ص ٧٤ .
(٨٠) د. عبد الله الفياض ، الثورة العراقية الكبرى ١٩٢٠ ، . بغداد، ١٩٦٣ ص ص ٦٥ – ٦٦ .
(٨١) انظر رسالتنا للماجستير ولاية الموصل ، ص ١٣٥ .
(٨٢) الفياض ، المصدر السابق ، ص ٦٦ .
(٨٣) الاب جون فييه ، الاباء الدومنيكان وخدماتهم الطبية في مدينة الموصل ، مخطوطة نقلها عن الاصل السيد سهيل قاشا في ٣ أيلول ١٩٧٠ ص١ .
(٨٤) المصدر نفسه ، ص ٢ .
(٨٥) المصدر نفسه ، ص٥ .
(٨٦) المصدر نفسه ، ص٥ .

(٨٧) د. عبد العزيز سليمان نوار ، تاريخ العراق الحديث ، (القاهرة ١٩٦٨) ، ص ص٣٠٥ – ٣٠٦ .

(٨٨) فيبه ، المصدر السابق ، ص ص ٥ – ٦ .

(٨٩) المصدر نفسه ، ص ٦ .

(٩٠) حنا خياط ولد في الموصل في ١٠ كانون الثاني ١٨٨٤ وحاز على درجة بكالوريوس في العلوم والاداب من كلية الطب الفرنسية في بيروت سنة ١٩٠٣ وعلى دبلوم الطب من جامعتي باريس واستانبول ١٩٠٨.وكان عضوا في الجمعية الطبية والجراحية في بروكسل وخلال الحرب العالمية الاولى عمل نائبا لرئيس جمعية الهلال الاحمر في الموصل ورئيسا للمستشفيات المدنية فيها من ١٩١٤ الى ١٩١٩. وقد الف كتابا طبيا منذ وقت مبكر من حياته العملية بعنوان «لمحة اختبارية وفنية في الحمى التيفوئيدية»وطبع في مطبعة الدومنيكان في الموصل سنة ١٩١١ ويقع في (٤٢) صفحة . انظر : الياهو دنكور ومحمود فهمي درويش ، الدليل العراقي الرسمي لسنة ١٩٣٦ ، (بغداد ، ١٩٣٦) ص ٨٧٩ .

(٩١) فيبه المصدر السابق ، ص ص ٨ – ٩ .

(٩٢) Isaacs , op. cit ., p. 20

(٩٣) الكسندر آداموف ،ولاية البصرة في ماضيها وحاضرها ترجمة هاشم صالح التكريتي، حـ١ ، البصرة ، ١٩٨٢، ص ٢٢٩ .

(٩٤) المصدر نفسه ، ص ٢٣٠، لوريمر ، القسم التاريخي ، حـ٦ ، ص ٣٢٩٥ .

(٩٥) لوريمر ، المصدر السابق ، القسم التاريخي ، حـ٦ ، ص ٣٤٤١ .

(٩٦) للتفاصيل انظر : احمد علي الصوفي ، تاريخ المحاكم والنظم الادارية في الموصل ، (الموصل ، ١٩٤٩) ، ص ص ١٤ – ١٧ .

(٩٧) انظر : Isaacs ,Op. Cit p.21 ومما يلحظ ان المستشفى الذي انشأه مدحت باشا سمي مستشفى الغرباء وكان اشبه بدار العجزة واقبال المواطنين عليه كان محدوداً بسبب العرف السائد بينهم وهو ان الاعتناء بالمرضى يتم داخل الدور اما المستشفى فمعدة للغرباء . انظر : عبد الرزاق الهلالي ، معجم العراق ، حـ٢ ، (بغداد ، ١٩٥٦) ص ٢٠٦ .

(٩٨) نمير طه ياسين ، المصدر السابق ، ص ١١٧ .

(٩٩) العلوجي ، المصدر السابق ، ص ص ١٥١ – ١٥٢ .

(١٠٠) المصدر نفسه ، ص ١٥٣، نمير طه ياسين ، المصدر السابق ، ص ١٦٠ .

(١٠١) Isaacs, Op.Cit., p. 21

(١٠٢) التميمي ، المصدر السابق ، ص ٣٩٢ .

(١٠٣) المس بل ، فصول من تاريخ العراق القريب ، ترجمة جعفر الخياط ، ط٢ (بغداد ١٩٧١) ص ص ١٧٨ - ١٧٩ وكذلك محمد رؤوف الشيخلي مراحل الحياة في الفترة المظلمة ومابعدها ، ج٢ (البصرة ، ١٩٧٢) ص ٢٦٥ .

(١٠٤) التميمي ، المصدر السابق ، ص ٣٨٣ .

(١٠٥) صدرت في السنوات الاخيرة من العهد العثماني بضعة تشريعات طبية منها قانون الجرائم الصحية ١٨٨٢ وقانون الضابطية الصحية ١٩١١ . كما صدرت تعليمات منها منع الامراض السارية في المدارس ١٩١٠ ومنع سراية الامراض الزهرية ١٩١٣ وتعليمات الحمى - تيفوئيدية ١٩١٢ . انظر : العلوجي ، المصدر السابق ، ص ص ١١٠ ، ١٥٥ .

(١٠٦) العلوجي ، المصدر السابق ، ص ص ٢٧٤ - ٢٧٥ .

(١٠٧) ادامون ، المصدر السابق ، ص ص ١١٩ ، ١٢٢ .

(١٠٨) لوريمر ، المصدر السابق ، القسم التاريخي ، ج٦ ، ص ص ٣٦٩٠ - ٣٦٩١.

(١٠٩) المصدر نفسه ، القسم التاريخي ، ج٦ ، ص ٣٦٩٦ .

(١١٠) لونكريك ، المصدر السابق ، ص ٣٨٠ .

(١١١) د. حسين محمد القهواتي ، دور البصرة التجاري في الخليج العربي ، (البصرة ١٩٨٠) ص ص ٥٣ ، ٦٢ .

(١١٢) لوريمر ، القسم التاريخي ، ج٦ ص ٣٦٧١ .

(١١٣) القهواتي ، المصدر السابق ، ص ص ٥٤ - ٥٥ .

(١١٤) لونكريك ، المصدر السابق ، ص ص ٣١٨ - ٣١٩ .

(١١٥) القهواتي ، المصدر السابق ، ص ص ٥٣ - ٥٤ .

(١١٦) المصدر نفسه ، ص ٥٤ ويقول لوريمر على الصفحة (٣٦٧٢) من كتابه آنف الذكر ؛ القسم التاريخي ، ج٦ « ان البعض يعدون الاجراءات الوقائية تلك مصدرا للدخل وحسب » ويذكر آداموف ، المصدر السابق ، ص ١٢٥ ان اكثر مايقرب من نصف ايرادات مصلحة الصحة الدولية

(١١٧) التميمي ، المصدر السابق ، ص ٣٨٣ وهنا لا بد من الاشارة الى بعض المستوصفات والمستشفيات التي انشأها اليهود في العراق اواخر العهد العثماني منها المستوصف الحديث الذي انشأه اليهود في بغداد سنة ١٨٨٤ ومستشفى ميرإلياهو الياس الذي افتتح سنة ١٩١٠ وكذلك مستشفى (ريمه خضوري) للعيون وقد اقتصرت خدمات هذه المؤسسات الطبية على اليهود فقط انظر : Isaacs, Op., Cit., p. 23

(١١٨) للتفاصيل انظر : Isaacs, Op. Cit ., p.21.

(١١٩) Isaacs, Op. Cit., p. 22

(١٢٠) التميمي ، المصدر السابق ، ص ص ٣٨٤ - ٣٨٥ .

(١٢١) المصدر نفسه ، ص ٣٨٥ .

(١٢٢) المصدر نفسه ، ص ٣٨٧ .
(١٢٣) المصدر نفسه ، ص ٣٨٧ .
(١٢٤) المس بل ، المصدر السابق ،ص ٥٦ .
(١٢٥) المس بل ، المصدر السابق ، ص ٥٧ ، التميمي، المصدر السابق ، ص ٣٩٠ .
(١٢٦) التميمي ، المصدر السابق ، ص ٣٩١ .
(١٢٧) المس بل ، المصدر السابق ، ص ٥٧ ، التميمي ، المصدر السابق ص ص ٣٩٤ – ٣٩٧ .
(١٢٨) المس بل ، المصدر السابق ، ص ٥٧ .
(١٢٩) التميمي ، المصدر السابق ، ص ٣٩٨ .
(١٣٠) المس بل ، المصدر السابق ، ص ص ٥٦ ، ٥٨ .
(١٣١) المس بل ، المصدر السابق ، ص ٥٧ ، التميمي ، المصدر السابق ، ص ٤٠٢ .
(١٣٢) يقول سندرسن باشا انه والعقيد بتي ، اقترحا على السر ارنولد ولسن ان تسمى المؤسسة الصحية الحديثة بمصلحة الصحة بدلا من مصلحة الطب ذلك لانه لايوجد بنظرها سبب يستلزم ان يفضل الرفاه في العراق على العلاج ، وبعبارة اخرى ان يتم الاهتمام بالوقاية بدلا من العلاج . انظر مذكراته : عشرة الاف ليلة وليلة ، مذكرات سندرسن باشا ، ترجمة سليم طه التكريتي ، ط١ ، (بغداد ١٩٨٠) ص ٣١ .
(١٣٣) المس بل ، المصدر السابق ، ص ٣٣٩ .
(١٣٤) المصدر نفسه ، ص ص ١٧٨ – ١٧٩ .
(١٣٥) المصدر نفسه ، ص ١٧٩ .
(١٣٦) المصدر نفسه ، ص ٣٣٩ انظر كذلك دنكور ودرويش المصدر السابق ، ص ص ٩٦١ – ٩٧٠ .
(١٣٧) المصدر نفسه ، ص ص ٣٤٠ – ٣٤١ .
(١٣٨) المصدر نفسه ، ص ٣٤٠ وكذلك Isaacs, Op. Cit., p. 23
(١٣٩) المصدر نفسه ، ص ٣٤٢ .
(١٤٠) الفياض ، المصدر السابق ، ص ٣٣٤ .
(١٤١) المصدر نفسه ، ص ص ١٩٦ – ٢٠٦ .
(١٤٢) Isaacs, Op., Cit ., p. 23
(١٤٣) Ibid
(١٤٤) Ibid
(١٤٥) انظر : سندرسن ، المصدر السابق ، ص ص ٢١ وما بعدها .

(١٤٦) عبد الرزاق الحسني ، تاريخ الوزارات العراقية ، ط٥ ، ج١ ، (بيروت ، ١٩٧٨) ، ص ص ١٠ - ١١ .

(١٤٧) المصدر نفسه ، ص ص ١٣ ، ٦٩ وكذلك عبد الرزاق الهلالي -تاريخ التعليم في العراق في عهد الاحتلال البريطاني ١٩١٤ - ١٩٢١ ، (بغداد ١٩٧٥) ، ص ٢٧٢ .

(١٤٨) لونكريك ، المصدر السابق ، ٣٨٠ ، التميمي، المصدر السابق ، ص ٣٩٢، القهواتي ، المصدر السابق ، ص ٥٤ .

(١٤٩) Isaacs, Op. Cit., p. 71

(١٥٠) هاكوبيان ، المصدر السابق ، ص ١٢ .

(١٥١) د. عماد احمد الجواهري ،تاريخ مشكلة الاراضي في العراق ،(بغداد ١٩٧٩)،ص٤٣٢

(١٥٢) انظر كتابه

The Heart of the Middle East . (London , 1926), p.264.

(١٥٣) علي جودت الايوبي ، ذكريات علي جودت الايوبي ، ١٩٠ - ١٩١٨ ،(بيروت ١٩٦٧) ص ص ١٦٠ ، ١٩٤ .

(١٥٤) كوينسي رايت ، حكومة العراق ، ترجمة اكرم الركابي (القاهرة ١٩٢٧) ص ٣٧ .

(١٥٥) الجواهري ، المصدر السابق ، ص ٤٣٦ وكذلك

Coke, Op. Cit ., p. 68

(١٥٦) الجواهري ، المصدر السابق ، ص ٤٣٦ .

(١٥٧) للتفاصيل انظر : بارين هيكز ، التقرير السنوي لادارة الصحة العامة لمدينة بغداد لسنة ١٩٢٠ ، (بغداد ١٩٢٢) ص ٢٢ وكذلك تقريره لسنة ١٩٢١ ، (بغداد ، لا. ت) ص ص ١ ، ١٣ .

(١٥٨) أ . م . منتشا شفيلي ، العراق في سنوات الانتداب البريطاني ، ترجمة د هاشم التكريتي (بغداد ، ١٩٧٨) ص٢٢٥ وتكشف ميزانيات الادارة المدنية للفترة من ١٩١٥ - ١٩١٨ كان قليلا . فمصروفات مقرات الادارة وبضمنها رواتب الموظفين قفزت من ١١٠٩٦٢٢ روبية في ١٩١٥ - ١٩١٦ الى ٧٦٠٧٤٨٦ روبية في ١٩١٧ - ١٩١٨ . بينما مصروفات التعليم والصحة في ١٩١٥ - ١٩١٦ كانت ٦١٣٤٥ روبية وارتفعت في ١٩١٧ - ١٩١٨ الى ١٧٥٣٨٧ روبية فقط انظر : صالح العابد تطور النظام الاداري في العراق ١٩١٤ - ١٩٥٨ في : حضارة العراق ، ج٩ ، (بغداد ٩٨٤) ص ٤٨ وعند انتهاء الاحتلال لم تتعد ميزانية الصحة ٢٠٠ الف دينار فقط .

(١٥٩) الشطي ، المصدر السابق ، ص ١٥٩

(١٦٠) انظر-Annual Administration Report of the Iraq Health services for the year 1921, p.R.o, Co69614 (1921— 1932).

(١٦١) د. ابراهيم خليل احمد ، تطور التعليم الوطني في العراق ١٨٦٩ - ١٩٣٢ (البصرة ١٩٨٢) ، ص ص ٢٤٦ - ٢٥١ .

(١٦٢) حنا خياط ، مقدمة كتاب هاكوبيان ، المصدر السابق ، ص ١٣ .

(١٦٣) للتفاصيل انظر : دير هاكوبيان ، المصدر السابق ، ص ١٣ ومابعدها .

(١٦٤) للتفاصيل انظر : هاشم جواد ، مقدمة في كيان العراق الاجتماعي ، (بغداد ١٩٤٦) ، ص ص ٨٤ - ٩٩ .